عزيز قادر الصمانجي

وراء الصراع والوفاق حلم كبير

المؤلف: عزيز قادر فتح الله (الصمانجي)

1. من مواليد كركوك 1930 أكمل دراستة الابتدائية والثانوية فيها.
2. قبل في الكلية العسكرية الملكية العراقية عام 1954 ومنح رتبة ملازم ثان.

3. شهادة (ماجستير) في العلوم العسكرية
حصل عليها من كلية أركان الحرب في مصر (الجمهورية العربية المتحدة آنذاك) معدلة في جامعة القاهرة

4- تدرج في المناصب العسكرية من آمر الفصيل إلى آمر الكتيبة، وكيل آمر اللواء، ومدرس في كلية الأركان لمدة أربعة سنوات، وآمر جناح التدريس والتدريب في الكلية العسكرية لمدة سنتين، وكما تدرج في الرتب العسكرية إلى رتبة عقيد ركن.
5- أحيل على التقاعد برتبة أدنى عام 1976 لأسباب سياسية وبموجب الفقرة (ب) من المادة الأولى من القانون العقوبات العسكري لعدم الولاء لمبادئ حزب البعث .
6 - جرى اعتقاله في المخابرات عام 1980 تعرض خلالها لعملية التعذيب الجسدي والنفسي، كما تم اعتقال ابني (14) معي واحتجاز زوجتي لحين تسليم نفسي إلى أمن كركوك وأطلق سراحي لعدم كفاية الأدلة شباط عام 1982.
7-غادر العراق بالاستفادة من ظروف انتفاضة آذار عام 1991 المباركة والتحق إلى المعارضة العراقية الوطنية وشارك بكافة مؤتمرات واجتماعات المعرضة لحين سقوط النظام العراقي السابق

8- بكالوريوس في القانون والسياسة
حصل على شهادة بكالوريوس في القانون والسياسة من جامعة المستنصرية أثناء خدمته في الجيش عام 1974 ومارس مهنة المحاماة لغاية عام 1988.
9- لديه عدة مؤلفات منها (حرب الأفكار) المنشورفي عام 1988 وكتاب (التاريخ السياسي لتركمان العراق) الصادر في عام 1999 في لندن، وكتابه هذا (وراء الصراع والوفاق حلم كبير) الصادر عام 1989 وله العديد من المقالات السياسية المنشورة في الصحف العربية والأجنبية.

10اللغات التي أجيدها : اللغة العربية واللغة التركية واللغة الأنجليزية.

المؤلف
تايد المعلومات عن سيرته الذاتية



تقديم

في صيف عام 1988 اي قبيل انهيار الاتحاد السوفياتي تحديداً كانت الصحف العالمية والمحلية تغطي وقائع مؤتمرات القمة المتلاحقة بين رئيسي القطبين الدوليين، رئيس الولايات المتحدة الامريكية ريغان والاتحاد السوفياتي) غورباتشوف) في جنيف وريكافيك – وواشنطن – وموسكو.
ساد الاعتقاد العام حينئذ، بان العالم سيشهد (يالطة) جديدة يتقاسم فيها العملاقين مراكز النفوذ في العالم بينهما مجدداً.

كنتُ احد السائرين بهذا الاتجاه.. فبدأتُ بالتأمل والتفكير بالدوافع الحقيقية للخطوة التي يتخذها رئيسي القطبين للهيمنة على العالم. لقد تكون لدي اعتقاد بان الصراع الدائر بين الدولتين كان لأجل المزيد من المكاسب وللبقاء في القمة بانهاء الحرب الباردة وإيقاف سباق التسلح الذي اثقل كاهلهما، وبات يهدد بقائهما في القمة القطبية العالمية مما دفعهما الى البحث عن سبل تخفيف الأعباء الاقتصادية والمالية الواقعة عليهما جراء الحرب الباردة اكثر من اربعة عقود حيث اجبرتهما على الدخول في سباق التسلح. وعليه فإن المصلحة الحيوية للطرفين دفعهما الى العزوف عن الصراع والاحتكام بخيار التوافق والحوار. وقد توصلا فعلا الى عقد اتفاقية توافقية سميت (سلط /1) و(سلط/2) تم بموجبهما إعدام بعض الصواريخ العابرة للقارات الحاملة للرؤوس النووية.

وبسبب قلة المعلومات المتوافرة حول خفايا الموضوع حصلت لدي قناعة بان الدوافع الحقيقة، خلاف ما اعلن عنها، وكانت لغرض الحفاظ على موقعيهما في قمة العالم، وبعبارة اخرى عقد اتفاقية لإنشاء (امبراطورية عالمية مشتركة) إذا صح هذا التعبير.

ولكن تفاجأ العالم فيما بعد بانهيار الاتحاد السوفياتي وظهور نظام عالمي جديد أحادي القطب .

انتهيتُ من تسطير الكتاب قبل التطور الاخير الذي حدث على مسار التاريخ، بانهيار احد القطبين وانفراد الاخر متربعاُ على عرش العالم، هذا وقد تعذرعلي نشره بسبب تركي للعراق اضطرارا، تاركاً ورائي الكتاب مخطوطاً، كما تعذرعليَّ طبعها في الخارج لحد التاريخ.

وعلى الرغم من منحى الكتاب باتجاه مغاير عما حدث على ارض الواقع، إلا انه، بحسب اعتقادي يتضمن افكاراُ مفيدة تتعلق بالثوابت الفكرية (الايويولوجية) واحكام قانون الدورية للحياة، الى ذلك استوجب التنويه ليكون القارئ العزيز على دراية من الظروف التي رافقت الكتاب الذي نضعه بين ايديه قد ينفع للبحث في موضوعه.

المؤلف

الصراع والوفاق .. والحلم الكبير

فهرست

مقدمة

لقد تبلورت فكرة الكتابة في موضوع كتابنا هذا، من خلال متابعتنا لتطور العلاقات بين الجبارين (الولايات المتحدة - والاتحاد السوفياتي) في الفترة الأخيرة، وجنوحهما نحو الوفاق والاتفاق بحجج ومبررات ظاهرة وواهية، وبعيدة كل البعد عن الدوافع الحقيقية التي دفعتهما للجلوس على مائدة المفاوضات، بعد فترة طويلة من النزاع والصراع وكذلك من خلال رصد مسيرة الثورة الخمينية في إيران منذ عام ١٩٧٩ (1) .. الأمر الذي حثني إلى التأمل الجاد في طبيعة العلاقات الدولية والقوانين التي تحكمها، والأفكار التي تقودها ... مما دعتني الحاجة إلى استقراء الخلفية التاريخية، لمنطلقات الفكر الستراتيجي الذي يعتبر، بحق، المسؤول الأول، ولكن ليس الأخير، في قيادة الأحداث في تحديد وتعيين طبيعة تلك العلاقات، أشكالها وأنواعها، ديمومتها أو انقطاعاتها ...

وقد دلني التمحيص والبحث في طبيعة العلاقات، بأن الفكر الستراتيجي، المسؤول عن رسم صورة تلك العلاقات، لم يكن يوماً ما حراً طليقاً في خياراته، بل كان، في رحلته الطويلة، ومازال، أسير النزعات والتطلعات، وحبيس الطموحات الكبرى، والأطماع التوسعية على صعيد الستراتيجية العليا أو (السياسة العليا) ... وقد تحولت تلك الطموحات والأطماع الكبرى، في أغلب الأحيان، إلى (حلم إنشاء امبراطوريات عظمى وعالمية) بهدف السيطرة على العالم، أو على الأقل، على الجزء منه ورهين خياراته ... هذا الحلم الذي راود الكثيرين من زعماء الأمم وقادة الشعوب، وحتى أصحاب المدارس الفكرية الستراتيجية الحديثة والمعاصرة، لم يستطيعوا تحرير أفكارهم من تلك القيود، الأمر الذي بات سبباً لنتائج نشوء عدد هائل من الامبراطوريات وسقوطها بصورة شبه دورية بين أمم الأرض وشعوبها، وقد صاحب ذلك نشوب عدد مماثل أو أكثر من الحروب والحروب الأهلية والتحالفات والتحالفات المضادة ...

(1) أزمة الخليج في أعقاب اجتياح القوات العراقية للكويت - وفشل المشروع العربي القومي لعبد الناصر الذي رفع شعار من المحيط إلى الخليج وحالات الهزيمة التاريخية .. كذلك صدام حسين الذي قاد العراق إلى الكارثة ..

يدلل على اخفاق الفكر الستراتيجي في جميع محاولاته الهادفة الى تحقيق ذلك الحلم الأسطوري العقيم (كما سترى) لأنه بقي مراوحاً في مكانه، دون أن يطرأ عليه أي تغيير، ولم يتقدم، طوال خمسة وعشرين قرناً من الزمن (من القرن الخامس قبل الميلاد - حتى نهاية القرن العشرين) .. وذلك على الرغم من ابداعات الفكر البشري في المجالات المتنوعة الأخرى (العلمية والتكنولوجية والحضارية) ولكنه فشل في كافة محاولاته المتكررة والتجارب التي خاضها في هذا المجال طيلة الفترة المذكورة .. وذلك بسبب اغفال الفكر او تجاهله حقيقة كون مسيرة حياة الأمم والشعوب، في اطارها العام، محكومة، كحياة الافراد بقانون الدورية .. وعليه فان حالات (النهوض وبلوغ القمة - وكذلك الانحدار والسقوط) في اطار الانقلابات وتغيير الظروف وتوازنات القوى العالمية، لابد وان تكون خاضعة لأحكام القانون المذكور، من حيث تعاقب المراحل وكذلك من حيث طول وقصر المدة التي تستغرقها كل مرحلة من تلك المراحل ...

وعليه فان كل جنوح طموح او شطح عام في هذا الاتجاه، بل كل خطوة في ميدان التحديات والصدامات تبتعد عن الواقعية العقلانية، ولاتنسجم مع سنن الحياة ونظام دوريتها، مصيرها الفشل والخذلان، لا محال ...

فهل يا ترى، صناع القرارات ومستشاريهم في الدولتين العظميين قد ادركوا هذه الحقائق الدامغة مؤخراً .. ووضعوها نصب اعينهم في الخطوات التاريخية (كما وصفت) التي اتخذوها في سلسل مؤتمرات القمم في (ريكافيك، واشنطن، موسكو) ..؟ وهل يعني أن افكارهم قد تحررت من شوائب نزعة التوسع والأطماع الكبرى .. وتخلت عن حلم انشاء امبراطورية عالمية، تسود الكرة الأرضية ..؟

وكذلك .. هل ان حكام طهران بدورهم [1] ادركوا تلك الحقائق وعادوا الى رشدهم، وتخلوا عن احلامهم المريضة، وذلك بإعلان موافقتهم على قرار مجلس الأمن ٥٩٨ بعد عشرة سنوات من التجربة المريرة، منها ثمان سنوات في حرب عدوانية طاحنة ... ؟ . (٢) وهل سيتخلون عن اطماعهم

---

(٢) لا يبدو الأمر كذلك لعدم عودة حكام ايران الى تحدي الدول العظمى بـ... التي ما تزال مرتفعة على الثقة -- وتحريك المجتمع الدولي ضد تحديها

(١) وقبلهم جمال عبد الناصر وصدام حسين من دول المنطقة العالم الثالث اضافة

هذه التساؤلات كانت تشكل محور تأملاتي وتفكيري المركزي خلال هذه الدراسة السريعة..
عسى ان تكون الأجابات او الاستنتاجات التي آلت اليها في نهاية المطاف مفيدة للقارئ بعض الشيء ومقنعة له الى حد ما.....

الصراع والوفاق ... والحلم الكبير

الصراع والوفاق :

١- لم يعد يخفى على أحد، وجود الهوة في السياسة الخارجية للجبارين (الولايات المتحدة الأمريكية — والاتحاد السوفياتي) وتباينها بين الظاهر والجوهر وبين المعلن والخفي في تلك السياسة ..

ولا شك أن لكل من الدولتين العظميين حساباتها، ومصالحها الذاتية وتوجهاتها المستقبلية، وهناك اعتبارات عالمية وإقليمية ومحلية تنطلقان منها لتبنيان عليها كافة مواقفهما تجاه المشاكل المتعددة، سواء أكانت تلك المشاكل عالمية أو إقليمية أو محلية، والتي غالباً ما تكون متشابكة لا يمكن فصل الواحدة عن الأخرى ..

ومن المعلوم أن الهوة والتباين في المفاهيم، ووجهات النظر، ينبثقان أساساً من الاختلافات العقائدية والفلسفية التي تتبناها الدول المتنافسة. غير أن حالات التباين والاختلاف في وجهات النظر، والهوة الناجمة عنها، لا تؤدي بالضرورة إلى الحوار، وإنما إلى التوتر المفضي أحياناً إلى استخدام العنف والاقتتال، وإن كانت تلك الحالات تشكل في بعض الأحيان أصل الحوار ومبرر وجوده .. في حين أن التشابه في حد ذاته، غالبا ما يؤدي إلى الحوار، سيما إذا كان ذلك التشابه يشكل مخاطر كبرى ومحنة مشتركة بين الطرفين.

... ولكن لابد أن ترافق الحوار في كلتا الحالتين (التباين — أو — التشابه) الرغبة في البحث عن نقاط اللقاء المشتركة التي تسمح للمتحاورين بردم الهوة أو تجسيرها في الأقل، وإزالة أسباب التباين، وبالتالي خلق مناخاً أفضل للوفاق .. فالوفاق، إذن، لا يتم إلا بناءً على الرغبة في تحقيق أهدافاً مشتركة، وتأمين مصالح حيوية متوازنة، مع تقديم تنازلات في الأمور التي تعتبر أقل حيوية من المصالح الكبرى ..

وهذا ما نعتقده جرى في مسلسل القمم بين الجبارين .. وأن ما تم الاتفاق عليه، لا شك أنه لصالح الطرفين في الأساس والجوهر، وفي الخفي غير المعلن دون الأطراف الأخرى، بل ضد مصالحها ...

٢ - ولاريب ان مسألة التسلح عموماً والتسلح النووي بوجه خاص تصدرت قائمة المشكلات الكبرى بين الطرفين في لقاءات القمم، فهي حقا المعضلة المركزية التي اجتذبت العمالقة للجلوس على مائدة المفاوضات، اما المشاكل الاخرى ذات الطابع الاقليمي او المحلي (افغانستان، والحرب العراقية الايرانية، ومشكلة الشرق الاوسط، وامريكا الوسطى، والمشاكل الافريقية .. والمسائل الاخرى مثل حقوق الانسان، والتفاتيش السلمي، وادعاءات الحرص على الأمن وسلامة العالم، والتعاون في مجال الفضاء، وتبادل الخبرات العلمية والتكنولوجية) تعد جميعاً، بمثابة مشكلات أدرجت في جداول الأعمال للمقاصة والتسوية من اجل تحقيق الهدف الأساسي الذي هو في الواقع، ليس إزالة الصواريخ النووية وتدمير ترساناتها، وصولاً الى عالم خالٍ من الأسلحة النووية، حرصاً على سلامة العالم والأرض، كما اثير حولها الضجيج الأعلامي، وانما من اجل إيقاف (سباق التسلح النووي) بهدف إيقاف التدهور الأقتصادي والتراجع المالي، والجمود الاداري السوفياتي، والعجز في ميزان المدفوعات الأميركي، من جهة، ومواجهة التحديات الناجمة عن اهتمامات العواصم الاوربية التي تتركز حالياً على قضايا نزع السلاح، والبطالة وتطوير الأقتصاد والتكنولوجيا الاوربية، لمواجهة تحديات التكنولوجيا الأمريكية واليابانية من جهة أخرى ..

تلك الأمور باتت تشكل علامة بارزة ومؤشراً ينذر ببدء العد التنازلي للانحدار من القمة نحو الأسفل للعملاقين بآن معاً (١)

هذه هي المحنة المشتركة التي وجد الجباران نفسيهما بها، فكانت نقطة اللقاء جمعت بينهما لأعادة النظر في الحسابات، والحوار، والوفاق ثم الأتفاق .. فهي حالة التشابه التي تشكل منها اصل الحوار ومبرر اجرائه

اما المبررات والحجج والأسباب المعلنة التي اثير حولها الضجيج الأعلامي فلا تمثل سوى الوجه الظاهر والمظلل ..

هذا ولا يعني اننا ننكر وجود المخاطر من احتمالات اندلاع الحرب الكونية، بسبب انتشار الأسلحة النووية، لأن ليس بمقدور كائن من كان انكار ذلك ... تماماً كما ليس بمقدور دعاة السلام، واصحاب القمم إنكار

---

(١) في الواقع اثر انهيار الاتحاد السوفياتي ــ بقيت الولايات المتحدة في القمة، أعلن رئيس الامريكي جورج (الاب) عن نظام العالمي الجديد احادي القطبية عام ١٩٨٩

كون السلاح النووي، كان عاملاً وحائلاً، حال دون اندلاع الحرب الكونية طيلة الفترة السابقة، بالرغم من كثرة المشاحنات والمنازعات، ضمن إطار تعقيدات المصالح المتشابكة والمتعارضة، فيما بعد (يالطه) ولحد التاريخ --

٢. هذا ما جعلني ان أتكلم بشيء من الأسهاب عن تلك الأحتمالات، ولكن ليس بهدف ابراز حجم المخاطر والقلق من وجودها، وانما من باب التأكيد على ان لم تكن، الدوافع الحقيقية التي تخفيها عنوان الوفاق --- وكما ان ما تم عليه الأتفاق في قمة واشنطن وموسكو، وربما سيعقب ذلك من المتممات فيما يتعلق بأزالة الصواريخ النووية المتوسطة المدى والطويلة، وغيرها لا تكون في الحقيقة والواقع، الغاية الأساسية، بل الوسيلة، لأن الغاية الأساسية كما نوهنا هي « محاولة إيقاف التدهور والأنحدار نحو الأسفل » والعمل على الأحتفاظ بمركز الصدارة بين أمم الأرض، والأستمرار على بسط السيطرة والنفوذ، والهيمنة على مقدرات شعوب العالم (١) ولكن بأسلوب مغاير جديد في هذه المرة، بالوفاق والأتفاق والمشاركة، بدلاً من التناحر والتنافس والنزاع -- وإن كان ذلك سيتم ضمن حدود من المعايير أرى من كل ذلك نريد أن نخلص الى القول! إن الأتفاقيات التي تم التوصل اليها في سلسلة القمم، لا تولد الأحداث التاريخية، ذلك لأن الاتفاقيات في حد ذاتها لا تولد الأحداث التاريخية وانما العكس هو الصحيح -- وبالتالي لا تعد خطوة الى الأمام، في سياحة التطور التاريخي للفكر الستراتيجي على الصعيد العالمي --- لأن بنود تلك الأتفاقيات، لا تتضمن ما يشير الى تبني أفكاراً تقدمية، سامية وخالية من شوائب النزعات البشرية البدائية المتوارثة منذ قرون طويلة -- والتي تتمثل بحب السيطرة وبسط النفوذ، والهيمنة بدوافع واطماع توسعية، على حساب الشعوب المستضعفة في الدول الفقيرة والنامية، وابتزازها ونهب خيراتها --- وعليه فان ما جرى ويجري في سلسلة القمم، لا تعدو كونها ابرام عقد شراكة بين الجبارين للسير قدماً نحو تحقيق نفس الحلم القديم الذي راود الكثيرين من زعماء الأمم، وقادة الشعوب، منذ بدايات تكوين المجتمعات المدنية، حتى اواخر القرن التاسع عشر، حيث ظهرت خلال اربع مدارس فكرية عسكرية عالمية (ثلاث منها تقليدية والرابع ثورية)، تبنت

تعليقة ١ - انحدر الاتحاد السوفياتي وانفردت الولايات المتحدة في الهيمنة على العالم لحد الآن تقريباً.

الجميع، الهدف نفسه، بالرغم من اختلاف مناهجهم، كما لم
يتغير الأمر بالنسبة الى المدرسة المعاصرة (التلقائية) التي ظهرت في
بداية الخمسينات من هذا القرن الحالي، والتي اتخذت من التكنولوجيا ديناً
جديداً لها على حد تعبير البعض، تسعى الى تحقيق الهدف ذاته.. وصولاً
الى اتفاقية قمة واشنطن التي ابرمت في هذا العام ١٩٨٩، لإزالة الصواريخ
النووية المتوسطة المدى من اوربا التي وصفت بأنها «خطوة تاريخية اولى!»،
وقد مهد ذلك العلاقات الى اتباع اسلوب مغاير جديد، يستند على الوفاق
والمشاركة، والاتفاق على ايجاد حلولاً مناسبة للمعضلات التي لها تأثيرات
مباشرة او غير مباشرة على مصالحها الحيوية المشتركة، والتي من شأن تلك
المؤثرات ان تؤدي بها الى التراجع عن مركز القوة والصدارة في قيادة
الشؤون العالمية، والاقليمية والمحلية ...

من هنا يصح لنا القول: بأن صناع القرارات ومستشاريهم في
الدولتين العظميين، ما زالوا ينطلقان من نفس المنطلقات الفكرية النزعوية
التي ما تزال تستهدف تحقيق نفس الهدف الأسطوري العقيم، والقديم
قدم الحياة.. ويتمسكون بفكرة انشاء امبراطورية عالمية عظمى، ولكن
(مشتركة) بينهما في هذه المرة، ولو بدون التسمية والمؤسسات، وذلك
بعد ان ثبات بحكم المستحيل انفراد احدهما في تحقيق ذلك الحلم الكبير..
وعليه فأن الخطوات المتخذة في القمة، لا تعدو باعتقادنا، اكثر من
محاولة من المحاولات لإيقاف عجلة التاريخ، وابقاء الفكر الستراتيجي جامداً
في مكانه ومكبلاً بتلك النزعات البالية، على الرغم من الابداعات الفكر
البشري في المجالات المستوى الأخرى (العلمية والتكنولوجية والسيبرنيطيقية
وغيرها من مجالات الابداع الفكري) ولكن الفكر الستراتيجي، كما يبدو، لم
يسمو في ممارساته حد الاتفاقيات الأخيرة، ولم يرق الى مستوى مفاهيم
(الميتاستراتيجية) اي ما وراء الستراتيجية التي لا ينبغي لها ان تتجاهل قوانين
الطبيعة وسنن الحياة وتطورها، تلك القوانين التي تتعارض كل التعارض مع فكرة
السيادة على الكرة الأرضية بالكامل بأي شكل من الاشكال، لأن ذلك لم يتم
حتى للاديان السماوية ...

فهل سيتحقق ذلك الحلم الأسطوري القديم للجبارين باتخاذ تلك الخطوات؟
وهل يستطيعان ايقاف عجلة التاريخ، والحفاظ على امبراطوريتها المشتركة، خالدة
الى الأبد؟

هذا ما نستهدف التحقق منه في هذه العجالة ...

مستقبل البشرية ومصير كرتنا الأرضية!

٤- في أعقاب ولادة القنبلة الذرية، كثرت التكهنات حول مستقبل العلاقات، وتوازن القوى .. وازدادت المخاوف على مستقبل البشرية ومصير كرتنا الأرضية .. وأثيرت مخاوف كثيرة إزاء احتمالات الحرب الكونية النووية، التي إذا ما نشبت فعلاً، لا تبقي ولا تذر .. وبات القلق يخيم على العالم بسبب تلك المخاوف والاحتمالات، فأضحت مادة دسمة لوسائل الإعلام المرئية والمقروءة، وصدرت العديد من المؤلفات والكتب والمقالات، تدين جميعاً وجود وانتشار هذا السلاح الاستثنائي الخطير الذي لم يسبق له في التاريخ مثيل، وأثير القلق ومخاوف شتى حوله.. كما ونشرت روايات عديدة تصور الرعب، وهول الكارثة والدمار الذي يحدثه هذا السلاح الخطير الذي أصبح وسيلة لإلغاء الحياة وتقويض حضارة الأرض.

ومن المذهل حقاً، احتمال اندلاع مثل هذه الحرب المدمرة، لأسباب عفوية بسيطة مردها حدوث أخطاء فنية الكترونية، أو بسبب سوء تقدير الموقف اللحظي .. أو بفعل جنوني، يقدم عليه أحد اليائسين .. أو حتى بفعل عقلاني يستند على منطلقات منطقية، نابعة من نظرة فلسفية خاصة للحياة .. (كما سنبين ذلك بالتفصيل) (1)

هذا ولا ينكر ما للتقنية الذرية جوانب الإيجابية، فيما يخص استخداماتها في المجالات السلمية والطبية .. وكما ثبتت جدوى السلاح النووي في فترات الحرب الباردة، والتوترات والصراعات الدولية حين أصبح عاملاً وقائياً رادعاً، حال دون اندلاع الحرب الكونية، وبهذا تحقق نوع من توازن القوى في العالم .. ومع ذلك فقد فاقت المخاوف من احتمالات اندلاع الحرب العامة بسبب وجوده وانتشاره على الاطمئنان منه على السلام العالمي .. إلى حد القول، بأن العالم بات يعيش تحت (سيف ديموقليس) وأن المواثيق الدولية الأخيرة، والاتفاقيات التي تم ابرامها في مسائل التحكم لم يتم الآن لغرض تخليص العالم من حالة العيش تحت تهديد هذا السلاح الخطير.. فما هي إذن قصة سيف (ديموقليس) ..؟ وما هي طبيعة تلك المخاوف والاحتمالات ..؟ وهل حقاً تعتبر دوافع حقيقية نبيلة دفعت العملاقين للجلوس على مائدة المفاوضات ..؟ (2)

تعليق (1) و(2) [illegible] الاتحاد السوفيتي [illegible] مع الولايات المتحدة على الاتفاقيات وقت سابق

١- [illegible] المخاوف من احتمالات [illegible] السلاح النووي لدى دول التي

٢- بدأت دول [illegible] النووية [illegible] بالمقارنة (كوريا الشمالية، ايران) [illegible] العراق في عهد النظام السابق [illegible]

[illegible] الاتفاقيات [illegible]

الوفاق الدولي – تحت سيف (ديموقليس)!

٥ – حينما اشتدت المخاوف من اندلاع الحرب النووية، وأصيبت الأفكار بالإرهاص والقلق، انبعثت للأذهان قصة (سيف ديموقليس) الأسطورية القديمة، وراحت الألسنة تتناقلها للتعبير عن القلق الدائم والمسلط على الرقاب، لاسيما بعد صدور الكتاب الموسوم بـ (سيف ديموقليس) للفيلسوف (الدوس هكسلي) عام ١٩٢٢ الذي أثار فيه المخاوف على مستقبل البشرية... ولاريب ان جيل الشباب، قد تأثر بالأفكار والمفاهيم التي تضمنها الكتاب المذكور.. ولا يستبعد استلهام العديد من الهيئات والمنظمات وبعض الأحزاب التي ظهرت في اوربا، ما بعد الخمسينات، بعض تلك الأفكار والمفاهيم، وغدت تعارض بشدة وجود السلاح النووي وانتشاره، وتطالب بإجراء ازالة تلك الأسلحة من الأراضي الأوربية، دون اعطاء اي اعتبار للردع الذي تحدثه ولقدرة السلاح المذكور، والذي حال دون اندلاع الحرب الكونية، على الرغم من كثرة الحروب الأهلية والمحلية التي انتشرت على معظم أصقاع العالم الثالث، خاضتها بعض الأطراف بالوكالة او بالنيابة (كما يقال) ~~وكانت تتشكل عنها~~)

اما قصة (سيف ديموقليس) القديمة فهي تقول!

«كان (ديموقليس) مقرباً من (دنيس) طاغية (سيراكوزا) في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد، وكان يكشف عن طموحه في الحكم، ويكرر امام الطاغية باستمرار الحديث عن مزايا الحكم... لقد اراد (دنيس) ان يرد عليه بطريقة عملية ليؤكد له عدم صحة مقولته عن الحكم، فأحله منصبه ليوم واحد.. ولقد احس (ديموقليس) بسعادة كبيرة، ولكنه شعر اثناء المأدبة التي أقيمت له بهذه المناسبة، ان هناك سيفاً ثقيلاً معلقاً فوق رأسه بشعر ذيل حصان، كان (دنيس) قد علق هذا السيف، ليكشف لديموقليس بشكل محسوس مدى القلق الذي يحس به الحاكم، ويحرمه من التمتع بالسعادة الكاملة[1]».

انطلاقاً من هذه الأسطورة ظهر تعبير (سيف ديموقليس) وشاع استخدامه في اوربا، كمثل يضرب للدلالة على الخطر الدائم والمسلط على

(١) كتاب حرب الأفكار (ص١٨٩) للكاتب.

رقاب شخص من الأشخاص، او شعب من الشعوب، او أمة من الأمم، وعلى العالم اليوم تحت تهديد الأسلحة النوويه.. هكذا فقد ساد الاعتقاد أبان انعقاد مؤتمرات القمم في (جنيف، وريكيافيك، واشنطن وموسكو) وفي فترة التمهيد لها، بأن فكرة الوفاق بين الجبارين لم تتبلور الا نتيجة القلق من احتمالات اندلاع الحرب النوويه.. او بعبارة أخرى، لتخليص العالم من تعلق سيف ديموقليس.. غير ان هذا الاعتقاد لا يؤلف سوى جزء من الحقيقه فحسب، اما الحقيقه الكامله فهي كما سنبينه فيما بعد...

طبيعه المخاوف والاحتمالات:

٦ - تطرقنا في معرض الحديث عن مستقبل البشريه والمخاوف حول مصير الكرة الأرضيه، الى كثرة التكهنات، وازدياد المخاوف من احتمالات اندلاع الحرب الكونيه النوويه التي اذا ما نشبت فعلاً، فلا بد لها ان تقوض الحضاره التي كونتها البشريه منذ قرون طويله، وان تضع النهايه المحزنه للحياة على الأرض، بتفجير الكرة الأرضيه وتفتيتها الى اجزاء تتناثر في الفضاء لتتساقط على شكل نيازك صغيرة على الكواكب الأخرى...

وان اخطر تلك التكهنات، اصبحت تدور حول احتمالات حدوث الكارثة الكبرى لأسباب عفويه بسيطه، كحدوث أخطاء فنيه الكترونيه مثلاً، او قيام احد البائسين بفعل جنوني يجر العالم معه الى الانتحار الجماعي... او قد تنشب الحرب بناءً على قرار عقلاني يتخذه قائد شعب ما، تحت ضغوط وظروف معينه او قرار مماثل يتخذه قائد آخر من اجل طموحات كبرى..

ولا شك يكون من الضروري والمفيد القاء نظره فاحصه على تلك الاحتمالات، وطبيعة المخاطر الناجمه عنها، لمعرفه ما اذا كانت تشكل الدوافع الحقيقيه للوفاق العالمي الأخير، او انها لا تعدو كونها مبررات وحجج ظاهرية ليس الا...

الاحتمال الواهم - او الحلم الأسطوري القديم !

٧- برزت في السنوات القليلة السابقة للحرب العالمية الثانية، مخاوف مقلقة أمام تطور العلم والتقنية، وظلت هاجس بعض المفكرين والمنظرين، طيلة الفترة المذكورة، وكانت خشيتهم من احتمال توصل احد الخصوم بسر انتاج سلاح استثنائي خطير، يفاجئ به الخصم الآخر، ويقضي عليهم قضاءً مبرماً، لا يترك لهم فرصة المقاومة او الدفاع عن النفس، عندئذٍ يظفر المنتصر بإنشاء امبراطورية كونية بلا منازع (١) تحقيقاً للحلم الأسطوري القديم قدم الحياة .. ويتحكم بالتالي في مقدرات شعوب العالم بأسره.

كان هذا الاحتمال الواهم، هو ما تنبأ به جزئياً، الفيلسوف (هنري برغسون) في عام ١٩٢٢ حينما طرح على نفسه أسئلة تخيفه أمام تسارع العلم، وتطور التقنيات بشكل مذهل، وكذلك أمام تسارع الأحداث في تلك الحقبة من الزمن ... وإن السؤال الذي طرحه على نفسه، في السياق الذي يمضي به العلم والتكنولوجيا، ما معناه :-

أليس من المحتمل اننا نقترب الآن من (اليوم) الذي سيكون فيه أحد الخصوم، يحتفظ لنفسه بسر أنتاج سلاح سري خطير، يمكنه من ازالة الخصم الآخر الى الحد الذي لا يبقى فيه أثراً للمهزوم على الأرض ..؟ دون ان يكون بمقدور هذا الخصم الرد بالمثل لعدم توفر وسيلة مماثلة لديه .. !(١)

ألا يكون من المغري والحالة هذه أن يراود تفكير الشعب الذي انفرد بامتلاك مثل هذه الوسيلة؛ ذلك الحلم الأسطوري القديم، قدم الحياة .. الا وهو حلم انشاء امبراطورية كونية شاملة بدون منازع ..؟(٢) مستلهما ذلك من افكار المدارس الفكرية الستراتيجية العالمية المتطرفة عبر العصور، او تحقيقاً للرغبة الذاتية المنبثقة من طموحات كبرى، او الأطماع التوسعية المتولدة من حب السيطرة والتسلط والهيمنة على مقدرات الشعوب الآخرى ونهب ثروات بلدانها !!

لقد تحققت نبوءة (برغسون) ولكن بصورة جزئية، بعد اكثر من عشرة سنين تقريباً، حيث حل فعلاً اليوم الذي انفرد

(١) (٢) الفكر الحر - جان غيتون (ص١٢٢) تعريب أكرم ديري والهيثم الأيوبي.

فيه احد الخصوم (الولايات المتحدة الأمريكية) بامتلاك السلاح الخطير (القنبلة الذرية) واستخدمته ضد خصمها (اليابان) بإلقاء أول قنبلة ذرية على (هيروشيما) تموز عام ١٩٤٥، وبقيت محتفظة بسر إنتاج هذا السلاح الخطير لمدة تسع سنوات (١٩٥٤) تقريباً، ولكن مع ذلك لم تتحقق لها تلك الفكرة الدعوية، أي "حلم إنشاء امبراطورية عالمية بدون منازع"، لربما بسبب ضعف قدرة حركة العمل المتاحة لها، والشلل المؤقت الذي أصيب به الجهاز العصبي لزعماء الولايات المتحدة وحلفائها، نتيجة اجتياح نشوة الانتصار الحاسم والسريع، بالذهول من هول الدمار والخراب الذي احدثه هذا السلاح الاستثنائي الذي لم يسبق له في التاريخ مثيل.. الأمر الذي يحمل الكثيرين من المنظرين والاستراتيجيين الغربيين وغيرهم على الاعتقاد، بأن الفترة الزمنية بين عامي (١٩٤٥ - ١٩٥٤) كانت تعتبر فرصة ذهبية [بالنسبة لأمريكا] أضاعتها، ولم تعد أبداً، وكان بإمكان الولايات المتحدة، الظفر بإنشاء امبراطورية عالمية، يعم فيها الفكر الغربي الاستعماري الرأسمالي، والسيطرة على العالم، بعد القضاء على خصومها.

استحالة تعميم المفاهيم والأفكار وفرض السيطرة على العالم

ولا شك أن هذا الاعتقاد، ينطوي على جزء من الحقيقة، لا على الحقيقة كلها؛ ذلك لأن الحقيقة الحقة، تكمن في استحالة تعميم الأفكار والمفاهيم الى العالم بأسره، سواءً أكانت تلك الأفكار والمفاهيم ثورية او عقائدية او فلسفية او دينية، ومهما كانت أصالتها وسموها، كما أن السيطرة على العالم بأسره أي (الظفر بإنشاء امبراطورية كونية بلا منازع) أمر لا يقل استحالة من تعميم الأفكار والمفاهيم او تصديرها (1)

على ذلك يمكنني القول مما تقدم، بأن الفكر الستراتيجي حينما يسعى الى تحقيق ذلك الهدف العقيم، إنما يسقط من حساباته تلك الحقيقة، بل ويتغافل، بلا أدنى شك، أهم القيم العليا والجواهر

(1) وقد توهم خميني وأتباعه، حينما ظنوا إن ذلك سيكون بمقدورهم بسهولة ويسر إن لم يكونوا مدفوعين الى ذلك دفعاً (وتفصيل ذلك سيأتي فيما بعد)

فكرة الحياة، وتوابعها دورتها وديمومتها... لا ويعمل ضدها او يبدل المسار عليها. وكما يعلمنا الاستدلال وتشخيص خطأ توجه الفكر الستراتيجي حين نراه يفضل استخدام الخيارات العسكريه البحته، بدلاً من استخدام افكار الستراتيجيه الشامله، واعتبارات (الميتا ستراتيجيه) اي ماوراء الستراتيجيه التي تتعارض مع فكرة السيطره على العالم بأكمله...

وعليه فقد سقط ذلك الاحتمال الواهم، وزالت معه المخاوف والقلق منه، ولكن ليس بسبب تردد الولايات المتحده، واضاعتها الفرصه الفريده التي أُتيحت لها، بأنفرادها في امتلاك وسيله القضاء على خصمها العملاق، ومن ثم اذعان المنافسين الآخرين لها... وبالتالي تحقيق ذلك الحلم الاسطوري القديم - كما ساد الاعتقاد في تلك الحقبة من الزمن - وانما بسبب تعارض طبيعة الحدث مع طبيعة توابع السياسة العليا كما بيّنا.. إلا انه بعد انقشاع تلك الغمامه، بزوال الفترة الحرجه التي اختلت فيها توازن القوى في العالم، سرعان ما ظهرت في الافق مخاوف وقلق من احتمالات من انواع اخرى [illegible] ← من احتمالات التي تسردها تحقيقات اوثمات [illegible]

ج - المخاوف من خطأ فني غير متعمد!

لعل لا يكون من باب التهويل والمغالاة، أثارة المخاوف من أحتمال اندلاع الحرب النوويه، من جراء حدوث اخطاً فنيه الكترونيه، غير متعمده، في منظومه من منظومات المراقبه، او التوجيه، او الاطلاق، طالما أن هناك أقماراً صناعيه، تدور حول الأرض، بصوره مستمره مثلاً -- او قاصفه سوفيتيه محمله بالقنابل الذريه او الهيدروجينيه، من طراز (ب ٥٢ - او - ب ١ ب) تتناوب واجب الدوريه على طول الحدود السوفيتيه، غير معلقه حتى بشعر ذيل حصان (١) او انطلاق مقذوفه نوويه من قاعده بالستيقيه العابره للقارات - بسبب غير واضح، او خطأ فني غير متعمد، قد يقترن بتقدير موقف لخطئ فاضح... ويكفي هذه الاحداث العفويه الناجمه عن الاخطاء الفنيه ان تشكل الشراره الاولى لاندلاع الحرب الكونيه النوويه التي لا تبقي ولا تذر... ومن المعلوم ان تلك الاخطاء، تتولد عادةً من التعقيدات الطبيعيه للتكنولوجيا الحديثه، بحيث يكون من المستحيل الاطمئنان على

تعليق

١ - توقفت اعمال هذه الدوريات وفق اتفاقيات سلت (١) ٢ وليدا تهيار الاتحاد السوفيتي تحريراً لكنه امتنع انطلاق مقذوفه نوويه جراء خلل فني تام.

ابعاد مصلحيه ذاتيه تقتصر على اطراف معينه، دون بقية شعوب العالم - وعليه يكون من السذاجه قبول فكرة الوقائع الدولي الاكيد بين الجبارين فهي ان تبلورت نتيجه التفكير حول الاحتمالات والمخاطر ... من هذا القبيل فحسب --

- الحوادث من فعل جنوني :

الى جانب الحوادث من احتمالات اندلاع الحرب الكونيه النوويه بسبب اخطاء فنيه غير متعمده او لاسباب غير واضحه كما ذكرنا فيما تقدم -- هنالك احتمال آخر لاندلاع الحرب، بسبب فعل جنوني، يقوم به فرد يائس، يعاني من الآلام الابديه، الى حد القبول والايمان بالفكرة التشاؤميه القائله :

((الافضل ان لا يكون اي شئ موجوداً ... والافضل ان يترك كوكب الارض ينفجر))[1] - ينبغي عدم اسقاط مثل هذا الاحتمال او التقليل من اهميه تبلور مثل هذه الفكرة في رأس احد اليائسين والمعذبين في الارض، حيث من المعروف ان هنالك بالنسبه للانسان الفرد ظروفاً قاسية وآلاماً ابدية يستحيل احتمالها، وحالات يأس بالغة الحدة، وان مثل هذه العوامل قد تدفعه وتجبره على تدمير ذاته، وتقدم على الانتحار[2] لان الانتحار كما يقول (البير كامو)[3] هو في الحقيقه القضيه الفلسفيه والخلفيه الوحيده التي تواجه كل ضمير بصورة خفيه -- هذا ما تمنعه من ذلك فكرة الواجب المقدس، والمثل العليا والايمان الديني ...

ومن المعلوم ايضاً، أن اليأس لا يحكم دائماً على وجود الانسان ذاته فحسب، بل يمكنه ان يحكم على الاخرين معه، وعلى الوجود كله، وبعبارة اخرى نقول :

اذا كان الفرد يائساً الى الحد الذي أوصله يأسه الى أدانة الحياة والوجود بصورة شامله وكان يمتلك القدرة او الوسيله على الغاء الحياة، بتفجير الكرة الارضيه، كأن يكون هذا مثلاً ((احد طياري طائرة نوويه او مسيطراً على احدى ترسانات الصواريخ النوويه العابرة للقارات او على متن غواصه نوويه))

---

(1) منبع الاخلاق والدين ص٧٥ - ج١ - برغسون

٢ - ... - ترجمة ... الحياة وتبرير التفاؤل - ...

ألا يحتمل أن يقدم على مثل هذا العمل الذي يحث أول ما يحث للعقلانية بصلة ..؟ طالما أن أساتذة الفكر، وهم بناة الحضارة الغربية الحديثة - التي تدنت فيها القيم الأخلاقية، وضعفت الروابط الاجتماعية والإيمان الديني وبالمثل العليا - ما برحوا يعلمون الفتيان ولو ضمنياً بأن الحياة مهزلة من الوهم، وأن الحياة عبثية لا غاية فيها ولا هدف! ومن ثم، يطالبون الشباب أن يكونوا واعين ومنطقيين مع أنفسهم، فماذا، إذن، نصاب بالدهشة فيما إذا استخلص أحد هؤلاء من كل ذلك نتائج جدية، وقام بإلغاء الحياة ..؟ وكان ذلك بمقدوره كأن يكون أحد العاملين بالذرة ..

هذا إذن احتمال آخر من الاحتمالات قائم، لا ينبغي تجاهله ولكن لا ينبغي التعويل عليه باعتباره عاملاً مبرراً أدى إلى الوفاة ..

جـ - الخارق من قرار عقلاني!

والاحتمال الأخير هو الاحتمال المبني في الأساس على حالة العلاقات الدائمة من التنازع والصراع والصدام فتكون الخارقة ناجمة عن قرار عقلاني يتخذه قائد سياسي ما تحت ظروف معينة، لكنها مفروضة لحتمية الصراعات الحادة في ظرفها الخاص، وينبغي لفض التوضيح أن نبين بأن، على الرغم من كثرة المناشدات والنداءات ودعوات السلام وتطلعات الشعوب إليه، وبالرغم من العهود والمواثيق والاتفاقيات الدولية الثنائية أو الجماعية المبرمة في المحافل الدولية (عصبة الأمم - والهيئة الأمم المتحدة) وخارجها، من أجل الحفاظ على السلام العالمي أو الإقليمي أو المحلي، والعمل على حل المنازعات والخلافات فيما بينها بالطرق السلمية إلا أن السلام الدائم والعادل والمشرف، كمطلب دائم ومنشود، بقي وسيبقى مجرد أماني وتطلعات نخب .. ذلك لأن قانون العلاقات بين الأفراد أو المجتمعات أو الدول هو في الأساس القانون المبني على أساس التناقض والصراع والصدام، سواء على مسار الجدلية المثالية أو المادية أو وفق نظرية التنازع على البقاء. وكذلك الأمر بالنسبة للنظرة الدينية للعلاقات التي تشير إلى الصراع الأبدي بين الخير والشر ..

على ذلك فإن الحالة الدائمة للعلاقات (كما فصلنا) هي حالة التناقض والتنازع والصراع والصدام وإن تخللتها فترات من الوفاق ..

والوئام والسلام (بمعناه الشائع) قد تطول او تقصر، لأن الأنجازات البشريه لا تتم الا بفضل مفردات قانون التطور هذا! ولأن البشريه كما يقول (جان غيتون) لا تستطيع ان تتم نفسها الا عبر معارضة نفسها، اي عبر حالة الصراع والنزاع والصدام، ولا ينبغي الأستغراب من هذه الفكرة او التقليل من أهميتها، طالما ان الخير الاعلى لا يمكنه ان يأتي إلا عبر الصراع الاقوى والأعنف، ومن التعارض الأقصى ... لأن كل شيء في الحياة يعتبر حرباً الى حد ما .. فالمباريات والسباقات الرياضيه بأنماطها المختلفه، والتنافس المشروع في مجالات الدراسه، والتحصيل العلمي، والعمل الوظيفي، كما في مزاولات الأعمال التجاريه والانتاج الصناعي او المهني .. الخ كلها يعتبر حرباً من نوع ما، تتضمن الربح والخساره والنجاح والفشل، والنفع والضرر .. ومن ثم تستغرق كل طاقات البشريه الفكريه والمعنويه والنفسيه والماديه .. لذا وبعبارة أخرى نقول: حتى السلم نفسه يعتبر حرباً، ولكن حرباً خفيه وخافته، ينطوي على التنافس والصراع ولكن بدون اصدام او استخدام آلة الحرب ~~...~~، الأمر الذي يفسر لنا ظهور تعابير متعدده، تصف السلم بأسماء متعدده كالحرب البارده، والحرب الساكنه، والحرب الأقتصاديه او التجاريه، والحرب الدعائيه او الأعلاميه، او حرب الكلام، وحرب الأفكار .. الخ .. وهي كلها أحداث وصراعات ترتبط بالحياة البشريه مآلها وتطلعاتها، كفكره ورغبه، ومصالح وإراده.

على ذلك، ينبغي عدم تصور اختفاء الحروب او زوالها من العالم بصوره نهائيه، طالما لم تبدر لحد الآن، أية بادره طيبه، توحي بحدوث تغيير جذري في اتجاهات الفكر الستراتيجي المعاصر، طالما ان أسباب التنافس والنزاع والصراع، ونزعة الصدام المسلح قائمه ومستمره ولا تزال تتعلق بالحياة البشريه، وتنبثق من تطلعات الأنسان ورغباته، ونزعاته وارادته في تحقيق مصالحه الماديه او الأعتباريه التي تكون بعضها مشروعه وأخرى مبرره بتسلسل منطق محرف لفرض أقناع الذات، وكذلك من تعارض الأفكار السائده والمفاهيم العقائديه او الفلسفيه القديمه والحديثه، والمحكومه بقانون التطور الآنف الذكر ...

وإلى جانب ذلك فهنالك ثمة مشكلة كبرى يعاني منها عصرنا الحالي، وهي مشكلة المخاطر الناجمة عن الازدياد المضطرد في القدرات التدميرية الهائلة للأسلحة الحديثة بمختلف أنواعها، التقليدية والنووية، والكيماوية الجرثومية، وغيرها الأكثر تطوراً... وكذلك عن ازدياد سرعة إيقاع سباق التكنولوجي التسليحي، الهادف إلى امتلاك قوة نووية ضاربة ذاتية، وتطويرها، والسير قدماً نحو استكشافات جديدة من الأسلحة والمعدات الحربية الأكثر فتكاً والأشمل تدميراً إلى الحد الذي لا تبقي أثراً للغالب والمغلوب... وكما أن سريان عدوى هذا السباق المذهل إلى دول العالم الثالث الغنية بالمعادن والمواد الخام من جهة، والمعرضة للابتزاز والاضطهاد من قبل الدول الغنية والمتقدمة، ~~والمهيمنة على مقدرات الشعوب المستضعفة وخيراتها (من جهة أخرى)~~، مما تزيد من تلك المخاطر إلى حد الذي يثير لدينا التساؤل التالي: ألا يحتمل والحالة هذه أن يتعرض قائد شعب ما، من بين الشعوب المستضعفة الذي امتلك السلاح الذري، بطريقة من الطرق، إلى ضغوط نفسية، وحالة يأس بالغة الحد، حينما يسلم شعبه مهدداً بالعبودية المادية أو الروحية، وينتشر بين صفوف أبناء شعبه شعار (الموت أولى)... أفلا يحتمل أن يلجأ قائد هذا الشعب إلى استخدام السلاح الذري...؟. وإن كان يعني ذلك انتحاراً متبادلاً...! أفلا يكون اتخاذه لهذا الفعل واتخاذه لمثل هذا القرار، في هذه الحالة أسمى تعقلاً وأروع شجاعة...؟. تطبيقاً لما أقرته البشرية منذ القدم «بأن الموت أفضل من فقدان أسباب الحياة»!.

هنا وإذا سلمنا جدلاً بأن العمل الفردي الصادر من فرد يائس يعاني من الآلام الأبدية، والنظرة التشاؤمية للحياة، والمؤدي إلى اشتعال فتيل الحرب الكونية النووية، يعتبر وفق معايير معينة، عملاً جنونياً، لا يمت للعقلانية بصلة (كما فصلنا فيما تقدم)... فهل يكون من الحق إعطاء الوصف نفسه لتصرف قائد شعب ما، أقدم على عمل مماثل، حينما يتعرض شعبه للعبودية أو الاحتلال المباشر...؟

ومن ثم ألا يمكن أن نجد تفسيراً لذعر العالم الغربي والدول المتقدمة الأخرى، المالكة للذرة والمحتكرة لها، من انتشار تلك الأسلحة النووية

(*) إصرار على تدمير أسلحة الدمار الشامل في العراق قبل ٢٠٠٣ كوريا الشمالية والمناطق أخرى من العالم.

والكيماوية والجرثومية ، او تسرب اسرار التكنولوجية الذرية المتقدمة الى
دول العالم ، ولا سيما الى دول العالم الثالث --- ؟ . وبالتالي
خوفهم من أفلات زمام الأمور من أيديهم --! وهلعهم من ان
يحل (اليوم) الذي يندهش فيه العالم ، حين يرى ان السلاح
الاستثنائي الخطر الذي اخترعته عقولهم ، وحملته بواخرهم) او
تسربت اسرار أنتاجه الى مختلف انحاء العالم ، بطريقة من الطرق
(وهذا مايحدث الآن) يرتد الى صدورهم ، كما تنبأ (موريس توينك)
بذلك منذ وقت --- عندئذٍ ينقلب السحر على الساحر ...!
لذا فأن مثل هذا الأحتمال قائم ، ولاريب فيه ، ومن الجهة
ان تثار حوله المخاوف ، ولكن اين يكمن الحل --؟ . هل في الوفاق
والأتفاق بين الجبارين ، لأجل تأمين مصالحها الذاتية ، وتحقيق
اهدافها المشتركة ، بغية المحافظة على مركزيهما في القمة بين
دول العالم --؟ . وهل يكفي ذلك لتلافي مخاطر الدمار الشامل
والأنتحار المتبادل من ظروف الوضع الراهن والسائر نحو انتشار
التقنية الذرية --؟ . وهل ان اسقاط مثل هذا الأحتمال
يكون ممكناً دون ازالة الأسباب الحقيقية لقيامه --؟ .
ولاشك ان الأجابة على تلك التساؤلات تأتي بالنفي القاطع
-- طالما ان اسباب الصراع والصدام ماتزال هي نفسها ، ولم
يطرأ عليها أي تغيير عبر التاريخ --- وطالما ان الفكر الستراتيجي
لم يسمُ ولم يتقدم كما تمنينا وكررنا --

يتبع

لقد لاح في الأفق ابان حرب الخليج الثانية وكذلك ابان احتلال
الأمريكي للعراق توقعات استخدام اسلحة الدمار الشامل إذ كان
نظام العراقي السابق هدد بحرق نصف اسرائيل وامريكا
كتب وجود مثل هذه الاسلحة لدى العراق وقد تبين زيف الادعاء
الامريكية اذ لم تستخدم هذه الاسلحة القتالة الآن واحد مجرايات.

دوافع الوفاق

~~الدوافع الحقيقية للوفاق~~ :

٧ـ قلنا فيما تقدم ، ان مشكلة التسلح النووي ، تشكل المعضلة المركزية التي اجتذبت العالقة (الولايات المتحدة ـ والاتحاد السوفياتي) الى مائدة المفاوضات في مؤتمرات القمم ---

بيد ان مسألة ازالة الصواريخ النووية المتوسطة او الطويلة المدى التي تصدرت قائمة المفاوضات ، وتم الاتفاق عليه جزئياً ، لا تشكل بأعتقادنا الهدف الأساس للاتفاقات ، حتى وإن تم التوصل الى اتفاقه (خيار الصفر) بينهما في نهاية المطاف -- تماماً كما لا تشكل المخاوف من احتمالات اندلاع الحرب النووية ، ومخاطرها ، وكذلك ادعاءات الحرص على سلامة العالم وأمنه من الدمار الشامل ، كما اشرنا اليه ، ومع ما أثير حولها الضجيج الأعلامي ابان انعقاد المؤتمرات وفي الفترات التمهيدية السابقة للأنعقاد ـ الهدف الحقيقي او الدوافع الحقيقية لتلك الخطوات وما سيعقبها ---

فما هي إذن ، الدوافع الحقيقية للوفاق الأخير بين الجبارين ، والغرض من اتفاقية الخطوة الأولى التاريخية (كما سميت)؟[1]

أهي الواقعية العقلانية للأنسان المعاصر ، في اواخر القرن العشرين --! استفاقه اخيراً من حلمه القديم ، ونبذ فكرة الهيمنة على العالم --- وأقلع عن فكرة انشاء امبراطوريات عالمية ، تسود الأرض ، بصورة نهائية --؟ ... وبعبارة آخرى -- هل يعني ذلك ان الخيال الأسطوري القديم بات يركع تحت اقدام الحقيقة والواقع --؟

تتطلب الأجابة الدقيقة والموضوعية لهذه التساؤلات ، شيئاً من الأستقراء للخلفية التأريخية للفكر الستراتيجي المعاصر ، والأفكار المدارس الفكرية الستراتيجية العالمية ، منطلقاتها ، اهدافها ، وطموحاتها -- وهذا ما سنقوم به نتناوله في الفقرة التالية ---

(١) ونعني بها اتفاقية الخطوة الأولى التي تم التوقيع عليها من قبل رئيسي الدولتين العظميين والتي وصفت بأنها (خطوة تأريخية أولى) .

المنطلقات الفكريه والخلفيه التاريخيه للفكر الستراتيجي المعاصر :

١ - المنطلقات الفكريه :

من المعلوم ، وجود صله وثقى وآثار متبادله بين فكر الانسان ونزعته ، واحاسيسه ورغباته وتطلعاته ... الا ان الفكر غالبا ما يكون مقيداً بالاحاسيس والتطلعات ، وأسير النزعه والطموحات الكبرى والأطماع لذلك فأن القوة الدافعه المحركه لمختلف النشاطات البشريه (الفكريه والمعنويه والجماليه) تتولد في الأساس من تلاحم الفكر بالنزعه والاحاسيس والتطلعات ، وعليه فأن الطموحات الكبرى والأطماع الواسعه ، ونزعة السيطره وبسط النفوذ ، تتجسد بفعل تلك المؤثرات المتبادله الداخليه في الانسان ، وذلك حينما يتطلع الفكر ليبلغ نهايته القصوى على مسار الصراع الجدلي التاريخي في ميدان التفاعل مع الأحداث الهامة (كالحروب والحروب الأهليه ، والثورات ، والانتفاضات الشعبيه) على أعتبار ان تلك الأحداث ، تعتبر من أهم وأخطر الأحداث التي تطرأ على الحياة البشريه ..

وفي الواقع ان هذه (القوة الدافعه الداخليه للانسان) المحركه للنشاطات البشريه ، والمنبثقه من ذلك التلاحم ، هي التي تولد الارادات البشريه ، وتبني وجهات النظر المختلفه ، العقائديه او الفلسفيه ، بل النظره الكليه للحياة ، تلك الأمور التي انبثقت منها على مر العصور - في ميدان العلاقات الدوليه المشبعه بالمتناقضات ، بسبب تشابك المصالح وتعقيداتها ، المولده للنزاعات والصراعات والصدامات المسلحه - طموحات كبرى على الصعيد الدولي ، والأطماع التوسعيه الأستعماريه ، لأستعباد الشعوب ونهب خيراتها ... مما انبثقت عنها ، فكرة انشاء امبراطوريات عظمى ، عبر العصور التاريخيه .. وجرت محاولات مضنيه لتحقيقها ، تصاحبها التحالفات المتضاده ، وحروب كثيره راحت ضحيتها ملايين من الأنفس فضلاً عن الخسائر الماديه الهائليه ، من جراء الدمار والخراب الذي تعرض له المجتمعات ، كما واستنزفت تلك الحروب اموالاً طائله التي لو ما استخدمت في المجالات الخيريه لقدمت للبشريه مزيداً من التقدم والرفاه في مختلف مناحي الحياة .

٩ـ الخلفية التاريخية للطموحات الكبرى (حلم انشاء امبراطورية عالمية)!

يحدثنا التاريخ في صفحاته التي تتضمن مسألة العلاقات الجدلية بين الأمم والشعوب .. عن الطموحات الكبرى التي تتمثل في نشوء عدد هائل من الامبراطوريات عبر العصور التاريخية المختلفة، تصاحبها عدد مماثل او اكثر من التحالفات والتحالفات المضادة، مما ادت الى نشوب عدد كبير من الحروب والحروب الاهلية والثورات، بغية تحقيق الهدف ذاته .. وان من المدهش ان نجد الفكر الستراتيجي يمكث في نهجه الثابت هذا، مدفوعاً بنزعة السيطرة والتوسع وبسط النفوذ والهيمنة على مقدرات الشعوب الاخرى، ويكون بالتالي من المذهل حقاً ان يبقى هذا النهج دونما اي تغيير طوال (خمس وعشرون قرناً) من الزمن، (من القرن الخامس قبل الميلاد – الى القرن العشرين) بل قبل ذلك منذ الآف السنين قبل الميلاد .. الأمر الذي يثير حقاً الدهشة والتعليق حول طبيعة التاريخ وطبيعة النفس البشرية، ويؤكد من المقيد بقانون التطور المعروف، والمبني على اساس التنافس والتنازع والصراع والصدام من جهة، وعلى الوفاق والاتفاق والمشاركة من جهة أخرى ---
ومن ثم فأن الدراسة الجادة لتأريخ الامبراطوريات، تدلنا الى تواجد، امبراطورية او قوتين اعظم، في حالة النزاع والصراع في كل حقبة زمنية من التأريخ، كما وتشير الى نشوء الامبراطوريات الحديثة، في اغلب الأحيان على انقاض الأقدم منها تأريخياً، ولكن بعد سلسلة من الحروب الطاحنة بينها وحلفائهما، تنتهي عادةً بمعركة حاسمة لصالح الحديثة منها --
ولعله يكون من المفيد ذكر بعض الشواهد التأريخية التي تدعم هذه الحقيقة، وعلى سبيل المثال وليس الحصر ---
--- في العصور القديمة، ابتداءً من (القرن الخامس قبل الميلاد)[1]، او بالأحرى

---

(١) وقبل هذا التأريخ تشكلت امبراطوريات عظمى في الشرق .. وكانت امبراطورية سرجون الاكدي، اول امبراطورية عرفها العالم القديم، تشكلت في الالف الثالث قبل الميلاد .. أعقبها الامبراطورية الآشورية العظيمة، في عهد آشور بانيبال، في الالف الأول قبل الميلاد، واحد ابرز قادتها سرجون الثاني وابنه سنحاريب في أواخر المئة الثامنة قبل الميلاد، ثم الامبراطورية البابلية في عهد (نبوخذ نصر) قبيل منتصف الالف الاول قبل الميلاد، اشتغلت فلسطين، بعد تطهير القدس من دنس الصهاينة .. (تكملة في الصفحة التالية)

في عهد الأغريق .. سجل التاريخ بدء مرحلة جديدة من تأريخ اليونان، بعد سقوط امبراطورية أثينا، ونشوء امبراطورية اسبارطة على انقاضها (٤١٨ - ٣٦٢ ق.م)

وبعدها تغيرت التحالفات في المدن اليونانية .. ناهضت امبراطورية طيبة وحلفاؤها، اسبارطة، فأدت الى نشوب حروب طاحنة بينها انهكتهما معاً، عندئذ، وبعد (٢٠ سنة) ظهرت مقدونيا كقوة عظمى في عام (٢٢٨ ق.م) وذلك أثر معركة حاسمة اعطت مقدونيا التفوق على جميع المدن اليونانية .. قادها (فليب المقدوني - الثاني) فسارعت امبراطورية طيبة بالائتلاف مع أثينا الى انشاء رابطة يونانية، بغية إيقاف قدرة مقدونيا على التوسع، ولكنها أخفقتا في مسعاهما، فنجح فليب الثاني في انشاء امبراطوريته على انقاض امبراطوريتي المذكورتين الرحتين، وذلك بعد سلسلة من المعارك، وورث حكمه نجله (الإسكندر المقدوني - ذو القرنين) وورث معه مخطط التوسع واداة التنفيذ (الجيش) فتمكن من السيطرة على بلاد اليونان، ومن ثم مد فتوحاته الى آسيا، (فهزم الفرس واحتل سوريا ومصر ووصل الى بلاد بابل ثم الى الهند) فنشأ خلق امبراطورية واسعة ومترامية الأطراف، ولكن مع ذلك لم تسود الكرة الأرضية ولم تدم طويلاً بعد وفاته فتقاسمها قواده، وبدأت بينهم حروب طويلة ومنهكة، ادت الى نهاية امبراطوريته وقد انشأ (أنتيغون)[1] امبراطوريته على انقاض امبراطورية اسكندر بعد ان دخل حروباً طاحنة ضد تحالف القادة الآخرين من زملائه.

اما في عهد الرومان، فقد انتقل الصراع بين روما وقرطاجنة، وبدأت المرحلة الاولى للصراع عندما غزا هانيبال ايطاليه (٢١٨ ق.م) لأجل السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وتوسيع امبراطورية القرطاجنة، وفي المرحلة الثانية اصبحت كفة روما هي الراجحة بفضل طريقة المماطلة التي ابتكرها القائد الروماني المشهور (فابيوس) وفي المرحلة الثالثة، انتصر قائد روماني آخر (سيبيو) الذي خلف فابيوس على هانيبال، فنشأت سيطرت الامبراطورية الرومانية على حوض البحر الأبيض المتوسط (٢٠٢ ق.م) واصبحت تشتمل على الجزء الأكبر من العالم القديم، ولكن بدأت بعد ذلك في التقهقر لتسقط محطمة بسبب النزاع الداخلي، وتوالي هجمات شعوب اوربا الهمجية عليها باستمرار، فوقعت فيها حرب اهلية التي ظهرت فيها عبقرية قائد كبير آخر (يوليوس قيصر - ٤٤ ق.م) الذي تمكن من دحر قمة اللدود (بومبي قنصل ايطاليا) واعاد مجد روما من جديد، دامت الامبراطورية التي اسسها

---

(١) احد قواد اسكندر المقدوني البارزين.

خمسة قرون ... ثم نشأت الامبراطورية البيزنطية بعد نقل العاصمة من روما الى البيزنطة (القسطنطينية في سنة (٣٣٠) وبذلك انقسم العالم الروماني في عام (٣٦٤) الى امبراطورية الشرقية وامبراطورية الغرب، وكان ذلك في عهد قسطنطين الأكبر، وفيما وصلت الامبراطورية البيزنطية اوج عظمتها في عهد بازل الثاني (٩٦٢-١٠٢٥) تحققت سيطرة روما من جديد في الغرب وكل بنتيجة الفتوحات قام بها قادة بيزنطة (بليزر ونارسيس ٤٩٤-٥٦٥) في ايام (جوستنيان الأول) واستيلاءهم على افريقيا وايطاليا واسبانيا الجنوبية ... الا ان في بداية القرن السادس، اصبحت الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) في موقف حرج بسبب تعرض جيوشها لكثير من الهزائم الساحقة على الحدود الفارسية، وتحددت مواقعها في آسيا الصغرى مهددة بشكل جدي، الا ان ضغط الفارسي خف نسبياً عندما هاجم الهون(1) حدود بلادهم الشمالية .. هكذا توالت الحروب والحملات بين الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية من جهة، وبين البيزنطة واقوام اوربا الشمالية وافريقيا وجنوب ايطاليه واسبانيا من جهة آخرى ... كما وقد انبثقت الحركات التحررية في الجزيرة العربية للخروج من الهيمنة الفارسية، وتمكن الملك العربي هاني بن مسعود الشيباني من جمع شمل القبائل العربية، فشن حرباً ضروس ضد الفرس لتحرير الأرض العربية الطاهرة من دنس الفرس المجوس ... وكانت حركاته تلك ذات قيمة تأريخية مهدت السبيل لمرحلة جديدة في هذه المنطقة من العالم ...

وحينما انبثقت فجر الاسلام، سقطت الامبراطورية الفارسية أثر معركة مقدسة ظافرة (القادسية الاولى) فتلاشت الامبراطورية المجوسية الفارسية، وانتشر نور الاسلام في ربوع بلاد الفارس، ولكن ما انفك واستقر الحقد الدفين في نفوس الفرس المجوس ليخفق مرة آخرى بعد (١٤ قرناً) تقريباً بأوهام اعادة مجد امبراطوريتهم المقبور، واستثار هزيمتهم النكراء في القادسية الأولى، ولكن ما كان لحظهم العاثر ان يكون افضل في القادسية الثانية (قادسية صدام المجيدة) كما لم تكن هزيمتهم أهون عليهم مما اصابهم في الاولى، بفضل حكمة القائد الفذ الملهم صدام حسين (حفظه الله) وبسالة جنده الميامين، في الدفاع عن البوابة الشرقية للوطن العربي، وافشال مخططاتهم التوسعية واحلامهم المريضة ..

هكذا اعاد التأريخ نفسه مرة آخرى بشكل اعمق وارسخ ..

وكما ان الفتوحات الاسلامية امتدت نحو الغرب وشملت معظم الدول الأوربية ووضعت النهاية للامبراطورية البيزنطية، وامتدت نحو الشرق، حتى

---

(1) الهون – قبيلة مغولية اجتاحت اوربا في القرن الرابع بقيادة اتيلا، واسست امبراطورية في المجر – ولعل اسم الجمهورية الاشتراكية (هونگاريه) في الوقت الحاضر مستمد منه.

وصلت الصين، واجتاحت جميع دول شمال الافريقيا ... غيران الصراع، ولأول مرة في التاريخ لم يكن من اجل الطموحات المادية او بهدف بسط السيطرة والنفوذ او الاستيلاء على الخيرات البلدان المفتوحة، وانما لغرض نشر نور الاسلام وحمل مبادئه لتنوير الطريق امام الشعوب تلك المناطق المتخلفة، وتخليصهم من العبودية والظلام الذي كانوا يعيشون فيه في تلك الحقبة من الزمن ..

هذا فقد تقرر مصير الامبراطورية البيزنطينية في العهد العباسي على يد السلاجقة المسلمين في معركة (ملازكرد) بقيادة القائد السلجوقي المسلم (آب ارسلان) الذي تمكن باستخدام استراتيجية عبقرية من هزيمة جيوش البيزنطينية، واوقع الامبراطور رومانوس الرابع (ديوجين) اسيرا مع الجزء الأكبر من جيشه، فتلقت الامبراطورية البيزنطينية صدمة، لم تتم بعدها، وإن بقيت مع ذلك كقوة ضعيفة لتحيا حياة اقل عظمة خلال اربع قرون آخرى قبل سقوطها بصورة نهائية ..

وحين نصل الى القرون الوسطى نجد ان الغرب فقد اعتباره الستراتيجي في القرن الثالث عشر، ولم يظهر سوى النورمنديون كقوة عظمى في اوربا حاولوا بسط نفوذهم وسيطرتهم على اوربا وانكلترة، فاندلعت الحروب كنتيجة طبيعية بين الدول والتحالفات، اعقبها اندلاع حرب أهلية في انكلترة .. ولكن لم تسفر عن نشوء امبراطوريات معتبرة في هذه الحقبة من تاريخ الغرب ... بعكس الشرق الذي أنطلقت منه طموحات مدمرة، ببدء اجتياح المغول لامبراطورية اسرة كين في الصين عام (١٢٢٠) كما اجتاح امبراطورية (خاريسميان) وهي (جمهورية تركستان المقسمة حالياً بين الاتحاد السوفياتي والصين) فتأسست امبراطورية المغولية الواسعة في عهد جنكيزخان (١١٥٥ - ١٢٢٧) وفي عام (١٢٤١) اجتاح احد قواده وهو نجله (سابوتاي) اوربا واوقع سلسلة من الهزائم بقوات البولونيين والهنغاريين والالمان المتحالفة .. واجتاح سيد سهول اوربا الوسطى، ثم انسحب منها لعودته بدون سبب واضح، فانقذ انسحابه اوربا العاجزة عن طرده ....

وفي هذه الفترة كانت هنالك امبراطوريات اقل شأنا في الشرق في اليابان والصين قبل سقوطها ..

وفي حقبة تأريخية من القرون الوسطى، انطبع الصراع بطابعه الديني بين دار الحرب ودار السلام وادى الى نشوب سلسلة من الحروب الصليبية برز فيها عباقرة من قادة المسلمين الافذاذ، فانتصر القائد العربي المسلم

صلاح الدين الأيوبي ، بتحرير الأرض المقدسة (القدس) في فلسطين . وبذا انتهت هذه المرحلة من الحروب الدينية .

اما في العصور الحديثة المتلاحقة ، فقد انتقل الصراع والنزاع بين سكان اوربا انفسهم مرة آخرى ... فأن اول حرب كبرى في القرن السابع عشر من التاريخ الحديث هي حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨ – ١٦٤٨) والتي تعتبر من الحروب الدينية في اوربا وكانت تهدف الى تأسيس اتحاد بروتستانتي واسع تحت السيطرة السويدية ، بمعارضة الامبراطورية المانية ، الأمر الذي ادى الى استقطابات جديدة في اوربا ، فظهرت فرنسا في عهد لويس الرابع عشر الذي حاول فرض سيطرة فرنسا على الدول الأخرى كقوة متفوقة وخاض في حروب متشابكة مع اكثر دول الأوربية ، فاتحد ضدها الاسبانيون ، والهولنديون والدانماركيون ، والنمساويون ومعظم امراء المان ..

وفي القرن الثامن عشر ، فقد احتدم الصراع في اوربا من جديد وتغيرت التحالفات ، ولمعت اسماء عدد آخر من القادة البارزين (مارلبورو – انكلترة) وفردريك الكبير – بروسيا) والأمير (اوجين – نمساوي) وكان الحلف المعقود ضد فرنسا ، حينئذٍ ، يضم النمسا وبريطانيا ، وهولندا والدانيمارك والبرتغال وعدة دويلات المانيا ، بينما كان حلفاء فرنسا مقتصرين على اسبانيا ، وبافاريا وساكسو .. استمرت الحروب التي سميت بحرب وراثة العرش النمساوي (١٧٤٠ – ١٧٤٨) واسفرت عن ظهور بروسيا كقوة عظمى في عهد فردريك الكبير ، صاحب ظهوره تحالف جديد ، ضم النمسا وروسيا وفرنسا والسويد وبلاد الساكسون ، بينما بقيت انكلترة حليف فردريك الوحيد .. وقد نشبت الحرب التي سميت بحرب سبع سنوات (١٧٥٦ – ١٧٦٣) بين التحالفين ، استفادت انكلترة من انهاك جيوش التحالف المتحاربة ، للفترة المذكورة ، فأنشأت الامبراطورية البريطانية على انقاض التحالفين المذكورين .

وبعد مرور (٢٠) عاماً ارتفع الستار عن حروب كبرى ، تألقت فيها عبقرية نابليون بونابرت ، وعادت فرنسا لتشكل من جديد خطراً ، يدفع كل القوى الاوربية للتحالف ضدها .. ولكن سير الصراع هنا كان مختلفاً لاعتماد فرنسا الثورية على كثير من المؤيدين في البلاد الاخرى .. فبدأت فرنسا الحرب بمفردها ، واستطاعت صد القوى المتحالفة ، واصبحت بعد التغيرات الثورية التي طرأت عليها خطراً عسكرياً يهدد اوربا حقبة من الزمن ..

واستطاعت في النهاية فرض سيطرتها على معظم دول قارة اوربا، ثم تحول الحظ عنها، ففقدت معظم ممتلكات الامبراطورية، فبرزت انكلترة والمانيا كقوتين عظميين في غرب قارة اوربا، وروسيا في شرق القارة ...

اما في الفترة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر - بداية القرن العشرين الخ،

فقد بدأ عهد جديد من الصراع الأممي تجلى في حرب القرم (١٨٥١) وفي نفس هذه الفترة كانت الحرب الأهلية الامريكية محتدمة (١٨٦١-١٨٦٥) تمخضت عنها ظهور قوة جديدة في العالم -- وبعدها مباشرة (١٨٦٦) وكذلك في عام (١٨٧٠) وقعت الحربين الاوربيتين -- والحرب الروسيا - اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) في الشرق، وبدأت التحالفات لاقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية -- فنشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وانتهت بزوال الامبراطورية العثمانية -- وقامت خلالها الثورة البلشفية في روسيا (١٩١٧) على انقاض الامبراطورية القيصرية، وبرزت انكلترة وفرنسا كقوتين عظميين في اوربا بعد هزيمة دول المحور (المانيا وتركيا واليابان) في الحرب المذكورة -- وبعد (١٨) سنة تقريباً بدأت المانيا النازية واليابان وايطاليا بالظهور كقوة منافسة للدول الكبرى الاستعمارية، وهي بدورها استعمارية، فالصراع الحاد بين الكتلتين ادى الى نشوب اعنف حرب كونية في تاريخ العالم (١٩٣٩-١٩٤٥) انتهت بولادة القنبلة الذرية، لتأذن بابتداء عهد جديد من الصراع تحت (سيف ديموقليس) ...[1]

والجدير بالذكر في نهاية هذا المطاف، فيما لو تحولنا من عالم الاحداث الى عالم الأفكار والمفاهيم والعقائد، وسريانها، نجد ان الأديان بمجردها سعت الى نشر تعاليمها الى جميع الأمم والأقوام مما ادى الى نشوب حروباً دينية عديدة في التاريخ -- وكذلك كان شأن الثورات العالمية (الثورة الفرنسية والحروب النابليونية) و (الثورة الصناعية في اوربا وانكلترة - والحروب الاستعمارية) واخيراً الثورة الخمينية في ايران عام ١٩٧٩ وادعاء تصديرها (كما ستتكلم عنها فيما بعد) ..

وهذا في حين ان الثورة البلشفية في الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية، وان اصابها شيء من الاحباط العقائدي والقصور في الانجاز، ولكنها ماتزال تسعى الى الانتشار، وتعميم النظم والمبادئ التي أنتجتها

(٢) راجع - الوئام الدولي - تحت سيف ديموقليس (ص ١٣)

(١) الاستراتيجية - في الواقع - ليدل هارت - ترجمة هيثم الايوبي، اكرم الديري

الى أنحاء العالم ... في مقابل مساعي الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة لتحقيق الغرض نفسه، بطرق وأساليب مختلفة والأعجب تخدم نزعة التوسع وبسط السيطرة والنفوذ ...

١. لعله لا يكون من المجدي إعطاء تفصيلات أكثر مما قدمناها في هذا السرد التاريخي الموجز، طالما أننا لم نستهدف منه، سوى الإشارة الى التتابع والمعاصرة التاريخيين، لنشوء وسقوط الامبراطوريات، عبر العصور المختلفة من تاريخ العالم .. وهذا يكفي بإعتقادنا لاستنتاج ما يتيح لنا للتأكيد على الحقائق الثابتة التي تشكل محور بحثنا في هذه العجالة --

وهذه الاستنتاجات من السرد التاريخي على النحو المقدم هي :-

أ- إن جميع تلك الامبراطوريات وغيرها التي لم نأتي بذكرها اختصاراً وان أكبرها حجماً وأعظمها قوة وسعة، أخفقت في تحقيق ذلك الحلم الكبير ألا وهو «السيطرة على العالم بأسره - بالتالي سيادة الأرض بالكامل» وبعبارة أخرى .. أخفاق الجميع في تحقيق (حلم أنشاء امبراطورية كونية تسود الأرض بالكامل، وتبقى خالدة والى الأبد في الوقت نفسه) ---

ذلك الحلم الذي راود عدد كبير من زعماء الأمم وقادة الشعوب (المكارثيا) ومن ثم بات الهدف المنشود والقاسم المشترك بين المدارس الفكرية الحديثة والمعاصرة على اختلاف مشاربها (كماسترى) --

ب- إن الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف العقيم، وطبقاً لتقليد الفكر الستراتيجي طوال القرون الطويلة، كانت الحروب العقيمة والمتلاحقة التي لا تجدي نفعاً إطلاقاً بالنتيجة النهائية --

ج- إن تعميم الأفكار والمفاهيم وحتى العقائد السماوية، الى جميع سكان الأرض، لا تقل استحالة عن تعميم نظم الحكم، او السيطرة والنفوذ على العالم ... نظراً لأن ذلك يتعارض مع قانون الطاقات، بل ويتنافى مع القوانين السماوية العليا، وارادة الخالق «لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة» .

ك - بقاء الفكر الستراتيجي مراوحاً في مكانه طوال العصور التاريخية المختلفة ، لم يتسع ولم يتقدم ، بل ظل أسير نزعة التوسع والأنانية والجشع ، محكوماً بقانون العلاقات (التنافس والتنازع ، والصراع والصدام) ومقيداً بالطموحات الكبرى والأطماع ومحدداً بالهدف ذاته .

ومثلما ان افكار اصحاب المدارس الفكرية التي ظهرت في العصر الحديث والمعاصر ، وكذلك افكار الجماعات التي تتولى ادارة أكثر المؤسسات ديمقراطية لم تنج من قيود تلك النزعات ، وظلت أطرها محددة بذات الهدف --

المدارس الفكرية الاستراتيجية العالمية - أهدافها ومناهجها

١١- لقد ظهرت وفق سياق التطور التاريخي للفكر الاستراتيجي العالمي اربع مدارس فكرية حتى الآن :

ثلاثة منها تقليدية وهي :

أ- المدرسة البحرية

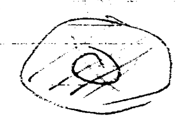
ب- المدرسة البرية (القارية) - مخطط رقم (١) في نهاية الكتاب

جـ- المدرسة الجوية (الفضائية) - مخطط رقم (٢) في نهاية الكتاب .

أما الرابعة فهي غير تقليدية بطبيعتها، وقد ظهرت في القريب للعالم وهي (المدرسة الثورية)

١٢- ولقد نشأت المدارس التقليدية الثلاثة، وفق تصورات وتقويم الوضع الجغرافي للكرة الأرضية، وبنظرة مختلفة الواحدة عن الأخرى .

لقد تقدم ثلاثة من المفكرين، علماء (جيوبولتيك) اي (علماء سياسة الكرة الارضية) افكاراً تستند الى هذا العلم وهم : (ماهان، ماكيندر، دي سيفرسكي) وباختلافات اساسية في وجهات النظر، ولكن من منطلق واحد هو : (استهداف السيطرة على العالم او بعبارة أخرى (انشاء امبراطورية عالمية عظمى) كما قلنا وكررنا .



بقاء الفكر الستراتيجي مراوحاً في مكانه طوال العصور التاريخية المختلفة لم يتقدم ... بل ظل اسير نزعه التوسع والانانية والجشع، ويحاولوا يقاربون العلاقات (التنافس والتنازع والصلح والسلام) ومقيداً بالطموحات الكبرى والاطماع، او محدداً بالهدف ذاته --

وكما ان افكار أصحاب المدارس الفكرية التي ظهرت في العصر الحديث والمعاصر -- وكذلك أفكار جماعات التي تتولى ادارة المؤسسات الديمقراطية، اضحت بدورها حقيبة تلك النزعات، وانظارها مشدودة نحو ذات الهدف، رغم اختلاف مشاربها ..

ولعل يكون من المفيد ان نلقي نظرة فاحصة الى تلك المدارس الفكرية الستراتيجية، لندعم صحة ما نذهب اليه في هذه الدراسة :

المدارس الفكرية الستراتيجية العالمية - أهدافها ومناهجها :

١١ - لقد ظهرت ضمن سياق التطور التاريخي للفكر الستراتيجي العالمي اربع مدارس فكرية في العالم -- :

ثلاثة منها تقليدية وهي :

أ - المدرسة البحرية

ب - " البرية (القارية) مخطط رقم (١) في نهاية الكتاب

جـ - " الجوية (الفضائية) مخطط رقم (٢) " " "

اما الرابعة فهي غير تقليدية بطبيعتها، وقد ظهرت في الماضي القريب وهي (المدرسة الثورية)

١٢ - ولقد نشأت المدارس التقليدية الثلاثة، وفق تصورات وتقويم الوضع الجغرافي للكرة الأرضية، وبنظرة مختلفة الواحدة عن الأخرى --

لقد قدم ثلاثة من المفكرين، علماء (جيوبوليتيك) اي (علماء سياسة الكرة الأرضية) أفكاراً تستند الى هذا العلم وهم (ماهان، ماكيندر، دي سيفرسكي) - وباختلافات اساسية في وجهات النظر، ولكن من منطلق واحد هو (استهداف السيطرة على العالم، او انشاء امبراطورية عالمية عظمى) كما قلنا وكررنا وكما سنرى ..

٢ـ المدرسة البحرية :

أن المبشر الداعية للقوة البحرية هو (ألفريد ثاير ماهان) وقد ركز ماهان (كما تقول مرجريت تل سبروت)[٥] أهتمامه على المحيط المائي من الكرة الأرضية الذي يغطي ثلاثة ارباع الكرة الأرضية ... ولقد وضع نظريته للأستراتيجية العسكرية، تبين أنه قبل انقضاء القرن العشرين، "سوف تتمكن الدولة التي تمتلك السيادة المطلقة على البحار العالمية، من السيطرة على ثروة العالم وبذا تسود الأرض"[٦] ... وكمطلب مسبق لتحقيق ذلك ينبغي وجود قوة بحرية قوية تعمل من قواعد في ارض الوطن وخارجه، وتمتلك بحرية تجارية كبيرة ... وللحصول على اقصى فاعلية، تبين نظرية (ماهان) انه يجب الأعتماد على عدة متطلبات اساسية كما بين ذلك في كتابه (تأثير القوة البحرية على التاريخ) ويأتي على رأس قائمة المتطلبات الموقع الوطني (الستراتيجي) المركزي الذي يمزج الحدود البرية الآمنة بمنافذ الى واحد او اكثر من المساحات المائية.

وينبغي ان تمزج هذه المواصفات الجغرافية مع شاطئ بحري تتواجد فيه موانئ عميقة المياه، وشواطئ يمكن الدفاع عنه، ولا يمكن لأي بلدان يدير سوقاً (ستراتيجياً) بحرياً على مقياس واسع، الا اذا كان لشعبه القدرة على العمل في المياه المالحة والقابلية على التجارة، واخيراً ينبغي على السياسة الحكومية ان تستثمر بشكل إيجابي كل الفوائد البيئية لأنشاء قوة عائمة ..

وقد اقتنع (ماهان) نتيجة لدراسته أن القوة البحرية، يمكن ان تزود الولايات المتحدة - بما سبق وأن زودت بريطانيا - بأداة سياسية تزيد من قوتها ومكانتها ... واستطاع ماهان بالنفوذ السياسي القوي لصديقه، تيودور روزفلت (الرئيس السادس والعشرين للولايات المتحدة) وهنري كابوت لودج (سياسي امريكي وكاتب) ان يلعب دوراً هاماً في حث الولايات المتحدة على ان تمنح عناية كبيرة بتقرير مصيرها، فيما وراء البحار طوال السنوات الاولى من مطلع القرن العشرين[٧].

وقد نالت فلسفته للقوة البحرية تقدير وموافقة الكثيرين خارج الدوائر البحرية المحترفة، ووجدت طريقها الى الهيئات والمجالس الحكومية، ليس في أمريكا

---

(٥) كتاب رواد الاستراتيجية الحديثة - الفصل السابع عشر (ص١١٢) تأليف ادوارد ميد ايرل - ترجمة اللواء أ.ع محمد عبد الفتاح ابراهيم.
(٦) نفس المصدر ص١١٤

تحسب به في كثير من بلاد العالم (المانيا، فرنسا، ايطاليا، انكلترا، اليابان) لسنا بصدد مناقشة المنطلقات الأساسية لنظرية وافكار (ماهان) ودراسته للوقوف على نواحي الخطأ والصواب فيها، وانما ما يهمنا منها هو (الهدف) في حد ذاته، كما حدده (ماهان) بكل وضوح حين قال (سوف تتمكن الدولة التي تمتلك السيادة المطلقة على البحار العالمية، من السيطرة على ثروة العالم وبالتالي تسود الأرض).

وكما يمكننا ان نجد تفسيراً لمغزى تواجد اساطيل البحرية الأمريكية التي تجوب البحار والمحيطات في العالم اليوم .. ومحاولات السوفييت للحاق بالولايات المتحدة في هذا المضمار مؤخراً ..

ب - المدرسة القارية (البرية)

اما دعاة المدرسة القارية (البرية) وهم في الأساس من تلاميذ (كلاوزفيتز) السوقيين (الستراتيجيين) فقد فضلوا استخدام اليابسة على البحار، ورجحوا استخدام القوة البرية، لتدمير قوات القوى البرية للخصم الطرف ذاته، اما الأساطيل البحرية والقوات الجوية، فالغاية من وجودها برأيهم نقل القطعات الى مسرح العمليات واسنادها ليس الا .. وان القوات البرية، فهي التي تفرض القرار الحاسم المؤدي الى السيطرة واحتلال ارض العدو[7] .. وعليه فهم يقسمون الكرة الأرضية الى مسارح عمليات منفصلة ..

لقد طور الجغرافي البريطاني (هالفورد ماكيندر)[8] النظرية القارية هذه، في بحثه الذي نشره عقيب نظرية (ماهان) البحرية ببضعة سنوات اي في عام ١٦٠٤ والمسمى (المفصل الجغرافي للتأريخ) .. وقد ركز (ماكيندر) على الأهمية السوقية (الستراتيجية) للكتل البشرية في مواجهة البحار .. وقد اعتبر قارة (يوراسيا) اي (اسيا الأوربية) على انها قبة او قمة الكون .. وقد اعاد تسميتها فيما بعد بأسم (ارض القلب) او (قلب الأرض) او (قلب العالم) بحسب اختلافات الترجمة .. ويرى ان المنطقة المذكورة التي تتطابق حدودها مع حدود روسيا الآسيوية، تؤمن حرية حركة كبيرة للقوات البرية، ولكن لا تؤمن قاعدة للقوة بمعاني عدد السكان والموارد المحلية، لذا فقد اضاف (ماكيندر) جزءاً من (أوربا) الى المنطقة المتمفصل هذه، فبهذه الأضافة أضحت حدودها النهائي تؤمن امتزاجاً موفقاً بين قابلية الحركة والقوة، اما باقي اوربا واسيا فقد تشكل منها هلال حولي (داخلي) يتاخم قلب الأرض، نسماه (بأرض الحافة) او (الهلال الداخلي) ..

(٧) الستراتيجية السوقية الكبرى - جان ام كولنز - (ص٤٦) ترجمة اللواء الركن علاء حسين مكي خماس
(٨) هالفورد ماكيندر - جغرافي بريطاني - استاذ جامعي .

... أما البقية الباقية من القارات والمناطق (من العالم) (امريكا وافريقيا، جنوب صحراء الكبرى، واستراليا، والجزر الكبيرة مثل انكلترة واليابان واندونيسيا) فقد تخيلها هلالاً خارجياً تحيط بالهلال الداخلي ...

وبتطور هذه الفكرة فقد عرفت (اسيا الأوربية وافريقيا) مجتمعتين بأنها (جزيرة العالم) ...

لقد استمد ماكيندر توقعاته التالية من جملة نظرياته اعلاه :

إن من يحكم شرق اوربا يسيطر على (قلب الأرض)

ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على (جزيرة العالم)

ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على (العالم) بأسره! (٩)

هكذا يتضح لنا بسهولة، انه على الرغم من الاختلاف في وجهات النظر لدعاة المدرستين (البحرية والبرية) واختلاف مذهبيهما في عرض المشاكل الستراتيجية الآ ان منطلقها الفكري متطابق كل التطابق فيما يتعلق بتحديد "الهدف" الذي هو باختصار في كلا الحالتين ((السيطرة على العالم)) .

ومن الجدير بالاشارة، لقد استعار "الجيوبوليتيكيون" الالمان، وفي مقدمتهم الداعية ((هوزهوفر)) فكرة (قلب الأرض) جملة عن ماكيندر، ثم طبقوها على الأتباع الالماني النازي ... وقد تحققوا وجود صلات قوية بين الجيوبوليتيكيين والحزب النازي، وبين الجنرال هوزهوفر وهتلر والرجل الثالث (رودولف هيس) الذي عمل ككاتب السر اثناء تحرير هتلر لكتابه (كفاحي) .. الذي تشير بعض فقرات هذا الكتاب الى ان كثيراً من آراء الجيوبوليتيكيين ومن اشام برامجهم كان لها تأثيرها الفعال في توجيه آراء هتلر نفسه (١٠)

لقد حاول الجيوبوليتيكيون تطبيق فكرة ((قلب الأرض)) او "قلب العالم" وفق الأسلوب التالي :

((إن قلب العالم يتاخم تقريباً روسيا السوفياتية، والمانيا بدورها هي الأخرى قوة برية، وتشترك مع روسيا في الكتلة الداخلية لقارة (اوراسيا) ولكنها على نقيض روسيا لها مخارج على البحر، ومن ثم تتوافر لها الطاقة لتكون قوة بحرية، فاذا استطاعت ان تكون لها السيادة على (قلب العالم) ملكت السيطرة

(٩) المصدر السابق (ص٢٢٩)
(١٠) كتاب رواد الستراتيجية الحديثة (ص٩١) تأليف ادوارد ميد ايرل - ترجمة اللواء م ع عبدالفتاح ابراهيم -

يتمكن

على القوى (الهلال الداخلي) الذي يضم الدولتين اليابان وبريطانيا، واخيراً تمكنت من السيطرة على القوى (الهلال الخارجي) (لبقية القارات).

والوسيلة الوحيدة التي يمكن ان تحقق هذا الأتساع الالماني طبقاً لهذا الترتيب هي (الحرب).

لقد عبر الجيوبوليتيكيون عن أملهم ان تتعاون المانيا وروسيا تعاوناً سلمياً لتحقيق هذه المشاركة، وهذا هو السر في توقيع المعاهدة بين المانيا وروسيا سنة ١٩٣٩، ومن المعروف ان هذه الآمال لم تلبث أن تحطمت نتيجة الأطماع الروسية، وبالتالي مهاجمة هتلر للاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ (١١)

والواقع ان فكرة ((قلب العالم)) مع ما اضاف اليه علماء سياسة الكرة الارضية (الجيوبوليتيكيون) الالمان، كانت عموداً لنتاج الفكر العسكري، لقد كانت الجماعات التي تضمها (هوزهوفر) في معهد الجغرافية بجامعة ميونيخ وفي اماكن آخرى متعددة يعملون من اجل الحرب المرتقبة كما يعمله اليوم جغرافيو الولايات المتحدة والكثير من الوكالات والهيئات بما فيها وزارة الحرب (البنتاغون)...

وهكذا فأن أفكار هذه المدرسة القارية، وخاصة اتساع جيوبوليتيك الطابع الصيني الذي رسمه له هوزهوفر، تؤدي حتماً الى الحرب، مهما كان طابع الأمة التي تطبقها، وهي - مهما يبذل من جهود لأخفائها - وسيلة لسياسة القوة والأعتداء بهدف التوسع وبسط السيطرة والنفوذ على العالم. كما قلنا.

ومن الجدير بالذكر أخيراً، أن محاولات نشر تعاليم الجيوبوليتيكس لم تنجح في أي بلد سوى في اليابان... فلقد كانت اليابان دولة عسكرية الطابع قبل عصر الجيوبوليتيكس، وكان أهتمام (هوزهوفر) باليابان كبيراً جداً... ولقد ترجمت كل مؤلفاته الى اللغة اليابانية. وكانت الجغرافية علماً ترعاه الدولة في اليابان، وتدعمه الجامعات، وكذلك كيّف اليابانيون علم الجيوبوليتيكا، ليتمشى مع برامج حكومتهم للتوسع والغزو (١٢)

من هنا الترادف في وجهتي نظر المانيا واليابان مما ادى الى أنشاء التحالف بينهما عشية الحرب العالمية الثانية.

ولقد حاول البعض في امريكا أن يوجدوا (جيوبوليتيكا) امريكية

(١١) المصدر نفسه (ص ٨١ - ٨٢)
(١٢) " " (ص ٩٩)

بالأعتماد على الجغرافيه لدعم البرامج السياسي لأبرام الولايات المتحده في الشؤون العالميه، وهنا ولا شك يتحول ليكون تخطيطاً لسياسة القوه من وجهة النظر الاميركيه.. وربما يقوم الأتحاد السوفياتي بنفس هذا العمل الآن، ولكن مَنْ يدري...؟

جـ - المدرسة الجويه (الفضائيه):

اسس (دوهيه)[13] المدرسه الجويه الستراتيجيه، الذي انتشرت تعاليمه في كل مكان، ويعتقد أتباعه: اولاً - ان القوه الجويه حتى بدون مساعده من قوه أخرى يمكن ان تكون حاسمه.. ثانياً - ان التفوق الجوي الواضح يمكن ان يضع حداً للحروب المطوله.. ثالثاً - ان السيطره على الجو وتدمير قدرات العدو الأنتاجيه، وخصوصاً المراكز المدنيه الآهله بالسكان، والقواعد الصناعيه هي من الواجبات الأساسيه، اما الأسناد الجوي للقوات الأرضيه فأمر ثانوي تماماً[14]

ولقد أقترح (الكسندر دي سيفرسكي) نظريه آخرى، مبنيه على اساس ان الفائقيه الجويه المطلقه، وليس فقط المحليه او المؤقته من الممكن الحصول عليها.. لقد بيّن في كتابه المسمى (القوه الجويه مفتاح البقاء) والذي نشر في سنه ١٩٥٠ (قبل ظهور المقذوفات البالستيقيه العابره للقارات)، ان القواعد الكائنه في الخارج غير حقيقيه... وقلل من اهمية القوات البحريه والبريه، وأشار بشكل واضح ان مصير الولايات المتحده يمكن ان يتقرر في الجو.. وان نظرته الى الكره الأرضيه مبنيّة على المنظور القطبي لها، حيث تخيّل ان المجابهه بين الشرق والغرب سوف تتم عبر المحيط القطبي الشمالي، وليس عبر المحيط الأطلسي او الهادي (انظر الخارطه رقم ٧) ولقد رسم دائره زرقاء حول الولايات المتحده الأميركيه محدداً قطرها بطول (٥٠٠٠ كم) يمثل المدى الضارب للقاصفات المعاصره، كما رسم إهليلجاً أحمر حول الاتحاد السوفيتي، ان المنطقه التي تقاطعت فيها الدائره مع الأهليلج سميت (منطقة القرار)

إن المحيط سوف ينكشف نتيجة للصراع على السياده على الجو كله، وان أي استثمار تقوم به الولايات المتحده هذا اليوم في المنطقه الصفراء يهدف الى تأمين سبل الأمدادات السوقيه (الستراتيجيه) خلال الحرب، هو تبذير محض،

(١٢) ضابط من القوه الجويه الايطاليه - لكتابه (القوة الجوية مفتاح البقاء)
(١٤) المصدر السابق (ص ١٠٠)

ويعتبر استمراراً غير واقعي تماماً لو قام الاتحاد السوفياتي بمثل هذا الاستثمار في المنطقة الزرقاء التابعة للولايات المتحدة..

ان المنطق يتطلب ان يركز الاستعداد الاقتصادي فقط في المنطقة التي يمكن الدفاع عنها..

من المعلوم ان هذه المدرسة، ظهرت مابعد الذرة، ومابعد المدرستين السابقتين (البحرية والبرية) لذا فقد ركزت إهتمامها على المجابهة المباشرة، والمحتملة بين العملاقين.. وقد طرأت بعض التعديلات على الفكر السوفيتي (الستراتيجي الجوي (الفضائي) بعد ثبوت فشل نظرية (دوهيه) وعدم امكانية التعويل على نظرية (سيفرسكي) نظراً لظهور وتطور المقذوفات البالستيقية العابرة للقارات.. وان ماتمخض به اليوم عن ستراتيجية حرب النجوم، ما هو الا استمرار لإحداث تعديلات على أفكار المدرسة الفضائية التي لم تبلغ الكمال بعد، ولن تبلغه اني حين اما الهدف الذي هو محور اهتمامنا في هذه الدراسة ((السيطرة على العالم))، واضح ضمنياً، وان لم تنص عليه النظرية صراحةً..

دي سفيرسكي هذه

د- المدرسة الثورية!

وهناك (كما قلنا) مدرسة فكرية رابعة غير تقليدية بطبيعتها، ظهرت في الماضي القريب، ومن دعاتها (ماركس، لينين، ماو، هوشي منه، تشي غيفارا، وغياب) وفي الوقت الذي تكون فيه المدارس البحرية والبرية والجوية، عسكرية اساساً، فان الحرب الثورية تكون (سياسية، واجتماعية ونفسية) وتتبع سياسة الاسلوب غير المباشر.. ونادراً مايوجد في الحروب الثورية معارك كبرى كالتي اوصى بها (كلاوزفيتز) ولقد كانت معركة (ديان بيان فو) والتعرض الذي شنه (غياب) في عام ١٩٦٨ وقيام (هانوي) بغزو فيتنام الجنوبية عام ١٩٧٢ من الحالات الاستثنائية التي تؤكد وتبرهن القاعدة.. اذ ان الأرض ليست بتلك الأهمية المعروفة، وان ارض المعركة الرئيسية هي في عقول الرجال (٥٣)

وقد دعمت التجربة النظرية، وصحة وجهات النظر وافكار دعاة المدرسة

الثورية، حيث بلغت الثورات أهدافها عموماً، بإحراز انتصارات ساحقة، بشن حروب ثورية في مناطق متعددة من العالم ... إلا أنه من غير الممكن التكهن، فيما إذا كان بالإمكان لأية خلية ثورية أو حتى دولة عظمى ثورية، من نشر مبادئها إلى العالم كله ذلك لأن سيادة الأفكار والمبادئ وانتشارها إلى كل أرجاء العالم لم يتم حتى للأديان السماوية ...

تقويم الوضع الستراتيجي الدولي الراهن:

٢- نستطيع الآن، بعد عناء الجولة في أروقة المدارس الفكرية الستراتيجية العالمية، وقاعات دروسها، وبعد الاستماع إلى محاضرات (ماهان - البحرية) و(ماكيندر وهوزهوفر - البرية القارية) و(دي سيفرسكي - الفضائية) وآراء دعاة المدرسة الثورية غير التقليدية، وبذهن هادئ يقظ، أن نلقي نظرة خاصة على الوضع العام الستراتيجي العالمي الراهن، في ضوء النتائج التي آلت إليها التطبيقات العملية لنظريات وأفكار علماء سياسة الكرة الأرضية (الجيوبوليتيكية) ودعاة المدارس الفكرية المذكورة لنجد أن الموقف العام الدولي على ما هو عليه اليوم، في واقع الأمر كالآتي:

م - الاتحاد السوفياتي: لقد تمكن الاتحاد السوفياتي من السيطرة على (أوراسيا) وأوربا الشرقية، إثر حرب ظافرة (في الحرب العالمية الثانية) أي بعبارة أخرى تمكن من السيطرة على (قلب العالم) وعلى أجزاء كبيرة من (جزيرة العالم) كما وضع (ماكيندر) إلا أنه مع ذلك لم يتمكن من السيطرة على البقية الباقية من (الهلال - أو القوس الداخلي) ناهيك عن (الهلال - أو القوس الخارجي) خلاف ما توقع ماكيندر من جملة نظرياته آنفة الذكر، التي استعارها منه (الجيوبوليتيكيون الألمان، وطبقوها على الأتباع الألماني النازي، وأعربوا عن أملهم أن تتعاون ألمانيا وروسيا لتحقيق الهدف مشاركة مع روسيا ...

لست متأكداً من أثر ستالين بهذه الأفكار، لعدم توفر

الوثائق الرسمية والمصادر التي يعول عليها ، غير ان الدلائل توحي
بذلك بما لا يقبل الشك ، ومن بين تلك الأدلة ، توقيعه على معاهدة
عدم الاعتداء مع هتلر عام ١٩٢٩ التي استفاد منها للسيطرة على أجزاء
من اوربا الشرقية سلمياً ، ~~المعاهدة~~ التي لم تلبث ان انهارت تلك
المعاهدة نتيجة الأطماع الروسية للسيطرة على اجزاء أخرى من اوربا الشرقية
مما دفع هتلر على مهاجمة روسيا في عام ١٩٤١ .. كما ان إحكام
السوفيت السيطرة على المناطق التي احتلوها ، اعقاب الحرب ، ومحاولاتهم
الدائبة لبسط النفوذ على مناطق أخرى ، بنفس الاتجاه ، لهو دليل قاطع
آخر ، يؤكد تبنيهم مشاريع الجيوبوليتيكيين الالمان ، وتشبعهم بأفكار
المدرسة الفكرية القارية قبل واثناء الحرب العالمية الثانية ...
اما بعدها فقد آثر السوفيت اللحاق بالولايات المتحدة في انشاء
قوة بحرية ضاربة الى جانب القوة البرية الهائلة ، فضلاً عن القوة
الصاروخية النووية العابرة للقارات . (+)

ب ـ الولايات المتحدة الأمريكية : ومن جانب آخر ، نجد ان الولايات المتحدة
هي الأخرى ، أخفقت في تحقيق الحلم الذي راود دعاة المدرسة البحرية ،
فهي على الرغم من انتصارها الباهر في الحرب الكونية الثانية ، وبروزها
كقوة عظمى ، وامتلاكها اليوم اعظم قوة ضاربة بحرية في العالم ، (أساطيلها
كما بيّنا) بناءً على نصائح المبشر الداعية (الفريد ثاير ماهان) الا أنها
لم تتمكن بدورها من السيطرة على العالم بأكمله ، ولم تسد الأرض ، حتى
بعد أسبقيتها في امتلاك السلاح النووي ، واحتكارها له لعدة سنوات
هذا وان ما يقوم به ، منذ الخمسينات ، جغرافيو الولايات المتحدة
والكثير من الوكالات والهيئات ، بما فيها وزارة الدفاع (البنتاغون) ،
لا يتعدى ما سبق وقام به جيوبوليتيكيو الالمان ، تطبيقاً لأفكار المدرسة
القارية الى جانب تطبيقات أفكار المدرستين (البحرية ـ والفضائية الجوية)
وليس مشروع حرب النجوم سوى امتداد للنظرية الفضائية ـ الجوية وعمل لها
وفي نفس الاتجاه ...

ذلك هو الموقف الستراتيجي الدولي العام ، الذي تمخض عن حرب عالمية طاحنة

ليستقر أخيراً على جانبي جدار برلين، استقراراً يشوبه القلق والاضطراب من اندلاع الحرب النووية بين أصدقاء الأمس وأعداء اليوم، ليضع حداً للسلم المسلح الذي يعيشه العالم منذ ذلك الحين وتحت (سيف ديموقليس).

وتلك هي النتائج التي أسفرت عن تطبيقات تلك النظريات العقيمة، والأفكار الخاطئة المنبثقة عن نزعة التوسع والاستعمار والأحلام المريضة. والتي تكررت عبر القرون وأسفرت عن النتائج ذاتها في كل مرة، ليعيد التاريخ نفسه كل ذلك لأن الاستراتيجيين ودعاة المدارس الفكرية، والجيوبوليتيكيين، وقادة الشعوب، والزعماء الذين تبنوا أفكار هؤلاء أو تأثروا بها، أو كانوا أنفسهم دعاتها، بدلاً من أن يعيدوا النظر بذلك الهدف الأسطوري الخيالي العقيم، ظلت أفكارهم مقيدة بذات الدوافع والنزعات والأوهام، وبذلك أسدلوا الستار على المبادئ العليا والقيم الأخلاقية، لا عملوا ضد قوانين الطبيعة ونظمها الثابتة التي تتنافى وفكرة الهيمنة على العالم والسيادة على الأرض بأسرها.. وقد نشأت مدرسة استراتيجية حديثة جامعة لأفكار المدارس التقليدية الثلاث تحت ضغوط وإغراءات التقدم التقني في العالم مع بقاء الهدف ذاته دون أي تغيير.

نشوء المدرسة الاستراتيجية المعاصرة (التلقائية)

١٥ — منذ بداية النصف الثاني من القرن الحالي، أعقاب الحرب العالمية ٢ وفي عصر ما بعد الذرة والثورة التكنولوجية، نشأت مدرسة استراتيجية (حكومية) بصورة آلية وتلقائية، لتحل محل المدارس الفكرية التقليدية الثلاث الآنفة الذكر، آثرت على دمج مذاهبها الثلاثة في مذهب موحد واحد، مع إتاحة نوع من التوازن المدروس لمتطلبات الأسلحة طبقاً لبناء القوات المسلحة من صنوف الجيش الرئيسية الثلاثة (البحرية، والبرية، والجوية)... وقد نجم نشوء هذه المدرسة (التلقائية) (إن صح لنا إعطاؤها هذا الوصف) عن دواعي ومغريات التقدم التكنولوجي المذهل في شتى المجالات، ولاسيما في مجال صناعة الأسلحة والمعدات والمواصلات الحربية المتطورة، وأصبح لهذه المدرسة دعاة محدثين، منهم: الجنرال تيلور، والجنرال اندريه بوفر، وتوينبي... وقد تبنت تطبيق مناهجها، كافة العسكريات العالمية في كلا المعسكرين المتنافسين

(جدار برلين)

بزعامة القوتين الأعظم، وفي طرفي ذلك الجدار الرمز الدال على فشل المنتصرين والمهزوم .. هكذا تولّد (سباق التسلح) المريب بين المعسكرين المتنافسين، وفي الدول الأخرى المتصارعة سوى (اليابان) وقد جرى ذلك تحت مظلة الردع النووي، ضمن اطار ما يسمى بسياسة توازن القوى، وتوزيع مناطق النفوذ، من أجل السلام العالمي كهدف معلن ومصرح به ..

اما الهدف الحقيقي، فلا يساورنا أدنى شك من أنه ظلّ كما كان، بل وكما تكرر على مر العصور والأزمان، دون أن يطرأ عليه أي تغيير، وكان سبباً للحروب الطاحنة على نطاق واسع .. هكذا عاد، ترجيح العمل على الفكر، بسبب تراجع الأخير امام تسارع العلم التجريبي وتطور التقنية بشكل منفصل وكما أن انصراف الأذهان نحو تطوير الأسلحة والمعدات لمتطلبات سباق التسلح، أُسدل الستار على الأفكار السامية والصافية، والخالية من شوائب النزعات الأنانية والجشع، وذلك على الرغم من الاهتمام الواسع في امريكا واوربا للبحث عن الحلول على اسس تحليلية فكرية وعلمية دقيقة، الا انه كان على شكل هيكل بناء مجرد ومعقد وخالٍ من الأفكار الصافية، لذا لم ينبثق عنه الا بعض الأفكار الستراتيجية، بحسب حاجة العصر .. ولكن سرعان ما طرأ عليها التغيير وأصابها الجمود، ونبذت في معظم الأحوال .. من تلك الستراتيجيات على سبيل المثال وليس الحصر: الردع النووي بأشكاله المتعددة (المرن، المتدرج، ومقابلة المدن او مقابلة القوى ...الخ) وانشاء وكالة دولية لمنع انتشار الأسلحة النووية، وكذلك بعض اتفاقيات خفض الأسلحة (سالت ١، ٢) منعاً لاندلاع الحرب الكونية، واخيراً اتفاقية ازالة الصواريخ النووية المتوسطة المدى من اوربا، التي وصفت بأنها (خطوة تاريخية اولى) تم التوقيع عليها في قمة واشنطن ١٩٨٦م ..

ولكن جميع هذه الستراتيجيات لحد الآن، لم تقدم الضمانات الأكيدة للانفراج الدولي الحقيقي والدائم، لأن انظارها ظلت متجهة نحو ذات الهدف المتعارض مع قوانين الطبيعة كما أسلفنا .. لذا فقد تحطمت جميعها على صخرته الصلدة ..

ومن كل هذا الكلام عن رحلة الفكر الستراتيجي الطويله، عبر العصور نريد الوصول الى تحمه واشنطن، لنرى فيما اذا كانت الاتفاقيه التي تم التوقيع عليها فيها، خطوه تأريخيه بحق (كما وصفت) باعتبارها انعطافاً فكرياً ناجماً عن تطور الفكر الستراتيجي وضمن سياق تطوره التأريخي ..؟. أم انها مجرد خطوه على هامش التأريخ لمقتضيات العوامل السياسيه والاقتصاديه، والسايكولوجيه بل ربما الشخصيه بالنسبه لرئيسي الدولتين العظميين، جرى تأطيرها بهواجس المخاوف من احتمالات اندلاع الحرب الكونيه النوويه .. كما اشرنا اليها في مقدمة كلامنا .. او كما أثار الضجيج حولها الاعلام العالمي ...

ومن ثم الا يحتمل ان تكون الاتفاقيه المذكوره، تراجعاً للفكر الستراتيجي الى الوراء، والعودة الى تبني أفكار الجيوبوليتيكيه الالمان النازيين، الذين أعربوا في حينه عن املهم بأن تتعاون المانيا وروسيا، تعاوناً سلمياً لتحقيق المشاركه، في السيطرة على العالم، وفق التعديل الذي أجروه على نظريه (ماكيندر) القاريه كما مرّ ذكرها (ص)؟ ويمكن لتحل هذه المره، الولايات المتحده محل المانيا النازيه. ليست هذه التساؤلات التي آثرنا لها هنا، سوى احتمالات، للاستعانه بها في تقدير القيمه التأريخيه للفكر الستراتيجي، الذي تمخضت عنه اتفاقيه الخطوه الاولى في قمة واشنطن، وما سيعقبها في موسكو من سلسل قمم ضمن ما يسمى بلعبة الأمم ...

القيمه التأريخيه لاتفاقيه، الخطوه الاولى!

٢٦ - لعله سوف لا يكون من السابق لأوانه، الحكم، بعدم اعتبار الاتفاقيه المذكوره، خطوه تأريخيه، ضمن سياق تطور الفكر الستراتيجي المعاصر .. ذلك لأن من المعروف أن احداث التأريخ العظمى، لا تأتي لاحقه للاتفاقيات الرسميه، او المواثيق والأعراف الدوليه، وانما على العكس من ذلك تكون سابقة لها .. وبعبارة آخرى، أن التأريخ لم يكن ابداً وليد الاتفاقيات مهما كان نوعها وشكلها ومستواها، بل أنه هو الذي يفرضها او يلغيها .. ولكن يمكن اعتبارها خطوه هامشيه بحسابات المصالح الخاصه، في تأريخ الدولتين العظميين، ولمقتضيات عوامل ظرفيه، وهواجسها المستقبليه.

التي اتفقنا عنها بالاجتماعات

اما فيما يخص بهاجس المخاوف من احتمالات اندلاع الحرب النووية الكونية فليس بوسع كائن من كان أنكارها او التقليل من مخاطرها، واحتمالات اندلاعها. ولكن من مفارقات المخاوف من أنتشار السلاح النووي الذي يشكل مصدراً للدمار والهلاك العالميين، أنه قد تحول الى عامل وقائي ضد اندلاع الحرب حتى الآن بين الدولتين العظميين، بالرغم من كثرة الحروب الأقليمية والمحلية وبالنيابة في مناطق مختلفة من العالم، الا أنها لم تتحول الى حرب عالمية، بفضل ما يسمى بالردع (الرعب) النووي، الأمر الذي يمكن قبول وجوده وانتشاره على أنه أهون الشرين...

ومن المفارقة أيضا، ظهور تيارات قوية تبدي مخاوفها من أتفاقية ازالة الصواريخ النووية المتوسطة المدى من اوربا الغربية، بحجج ومعاذير متعددة، قد تكون بعضها من منطلق مصالح خاصة، ولكن لاشك ان بعضها الآخر تكون موضوعية، تستند على اسس عقلانية واخلاقية... وقد ادلى كيسنجر مؤخراً بتصريح تحذيري في هذا الأتجاه، وقال: أن الأتفاقية تعرض أمن اوربا للخطر... كما ان الأدارة الأمريكية تبذل جهوداً واسعة لطمأنة معسكر الناتو، وحلفائها الغربيين...

هكذا فأن المخاوف السابقة من وجود وأنتشار السلاح النووي، تحولت الآن الى الخوف من ازالته، او لربما الخوف من الخلل الذي سيصيب معادلات توازن القوى بين المعسكرين، في غياب الردع النووي في نهاية المطاف، على أساس ان أتفاقية الخطوة الاولى، ولو انها تشمل على ازالة نسبة ٤٪ من الترسانة النووية للدولتين فقط، ولكن على أمل أن تؤدي الى خطوات اكبر في ميدان التسليح النووي لتشمل الصواريخ الستراتيجية بعيدة المدى بنسبة ٥٠٪ (وهو ما يجري الحديث عنه ~~حاليه التوصل اليه~~ في القمة الرابعة التي انعقدت بموسكو في العام ١٩٨٨)... عندئذٍ ستبقى مسألة توازن القوى لتثير التساؤل التالي: علام يا ترى سيستند هذا التوازن بعد غياب الردع النووي...؟ فهل تكفي الوعود والمواثيق والأتفاقيات المجردة للحفاظ على استمراره...؟ دون ان يكون هناك اساس مادي يقوم عليه هذا التوازن... ولاسيما اذا أستمر التنافس السلمي الأقتصادي

والسياسي والنفسي بين العملاقين .. وأدى ذلك الى التوترات والعوده الى الحرب البارده بينها مجدداً، ولهذا أمر كبير الاحتمال إن لم نقل أمر حتمي ألا يكون عندئذ من المنطقي، التفكير بإعادة انتاج الأسلحه النوويه ..؟. علماً بأن ذلك سيكون في مقدور الدول التي قامت بإزالة وتدمير ترسانتها النوويه بناءً على الاتفاقيات المبرمه، لأنه من المؤكد ستحتفظ لنفسها بأسرار تكنولوجيا النوويه، وبمصانع انتاجها .. مما يمكنها من انتاج السلاح النووي مجدداً وبوقت قصير جداً، اذا دعت الحاجه الى ذلك على حين هناك دول أخرى ستبقى محتفظه لترسانتها النوويه خارج الاتفاقيات، واخرى في طريقها أن تكون من الدول المالكه للذره في المستقبل القريب او البعيد ..

إذن، مهما اوردناه، يمكننا القول، بأن المخاوف الحقيقيه لا تتأتى في الأساس من وجود او ازالة السلاح النووي، ولا من اختلال توازن القوى، وضمن سياق التطور التأريخي الحقيقي للفكر الستراتيجي، وانما تتأتى ضمن هذا السياق من عدم الثقه بالانسان، وبفكره الستراتيجي ذي الطابع التنافسي الجدلي، طالما بقي هذا الفكر اسير النزعه والأنانيه والجشع، وطالما لم يقدم لحد الآن مثلاً يرمز الى تخليه عن استخدام القوه، او دليلاً يوحي بأنه تمكن من التغلب على نزعة السيطره والتفوق والهيمنه وحققه انتصاراً على الذات .. فلا في اليابان، وربما إثر الحدث التأريخي الأليم الذي ادى الى توقيع اتفاقيه الاستسلام وبالتالي نبذ فكرة الحرب من جانبه، ولحد التأريخ على الأقل ..

(حلم) إنشاء امبراطوريه مشتركه عالميه !

١٧ - واخيراً يمكننا من كل هذا الكلام الطويل ان نخلص الى نتيجه مفادها :

م - ليست مخاطر وجود (الأسلحه النوويه) وانتشارها وبالتالي المخاوف من احتمالات اندلاع الحرب الكونيه النوويه، هي الدوافع الحقيقيه التي قادت الخصوم الى مائدة المفاوضات في قمم العمالقه، لابرام الاتفاقيات من اجل سلام العالم والحرص على أمنه، على اساس أنها انعطاف تأريخي طرأ على الفكر الستراتيجي في مسيرته التأريخيه ... ذلك لأن وجود (الردع

او الرعب النووي) كان عاملاً استثنائياً حاسماً، حافظ على السلام العالمي طيلة الفترة الماضية (بعد الحرب العالمية الثانية) ... ألم تكن أزمة من الأزمات (مثل ازمة كوبا) مثلاً، كافية لاندلاع الحرب بين الجبارين وحلفائهما، لولا (الرعب النووي) ..؟ ما الذي كان يردع روسيا، أن تتراجع، على حساب كرامتها وهيبتها الدولية، يومئذٍ، في غياب الردع النووي ...؟

من هنا يصح القول، بأن الخائف من وجود السلاح المطلق (النووي) يتساوى مع الخائف من غيابه ... ولا ينبغي أن ننسى ان التكنولوجيا النووية، تركت بصماتها على الحضارة المعاصرة والتقدم العلمي التقني، لذا فأن التخلص من الصواريخ الموجودة حالياً، ومراقبة مصانع أنتاجها، لا يعني بالضرورة طمس أسرارها التقنية، والعجز عن أنتاج رؤوس حربية نووية في حالات الضرورة القصوى الملجئة ... وهذا يعني ضمنياً استحالة التخلص الجزئي من السلاح النووي والعودة الى عصر ما قبل الذرة ... وعليه فأن كل ادعاء من هذا القبيل يجانب الصواب ويعتبر محض هراء ..

ب - هذا ولا أعبأ من بعد ذلك، بأعتراض احد، فيما أنكرت على اتفاقية قمة واشنطن تأريخيتها، وفي سياق تطور الفكر الستراتيجي التأريخي .. ذلك لأن الأتفاقيات مهما كان نوعها او شكلها او مستواها (كما ذكرنا) لا تكون خالقة للأحداث التأريخية على مسار الجدلية، وانما على العكس من ذلك ان أحداث التأريخ هي التي تفرض الاتفاقيات او تلغيها .. لذا فأن الفكر الستراتيجي وفق هذا التصور، لا يزال يدور حول دائرة مفرغة، يغلق على نفسه، مراوحاً في مكانه، فلم يتطور ولم ينمو، لأنه ما يزال يسدل الستار على المسائل العليا، ويعمل ضد قوانين الطبيعة، ولأنه لا يزال يتمسك بذات الهدف الأسطوري الخيالي العقيم، وينشد الهيمنة ويسعى الى تحقيق السيطرة على العالم واستعباد الشعوب، ونهب ثرواتها، والظفر بأنشاء امبراطورية عالمية عظمى،

جـ - وعليه لا ينبغي أن نصاب بالدهشة، فيما اذا همس أحد في آذاننا، ليخبرنا، بأن ما حدث في قمة واشنطن وموسكو وفيما سيعقبها، ليس سوى الأتفاق حول انشاء امبراطورية عالمية (ما عدا التسمية) —

والشكليه) ولكن بصوره (مشتركه)، في هذه المره، بين العملاقتين، وذلك تطبيقاً لأفكار الجيوبولتيكيين النازيين (كما اشرنا اليه فيما تقدم)، لتحل الولايات المتحده الآن محل المانيا النازيه سابقاً ؟
ومراعاة ذلك، احساس طرفي الصراع والتنافس الجدلي (امريكا - اوروبا) بأستحالة انفراد أحدهما لتحقيق الهدف المنشود، في ظل الظروف الحاليه التي تمر بهما، بسبب الضعف المالي والضغط الأقتصادي، من جراء سباق التسلح، وفي الوقت الذي أضحت فيه موسكو تصحو بزعامتها الجديده على حالة الأقتصاد، والقصور في الأنجاز، والأحباط العقائدي، تتشعر فيه واشنطن بالتباطؤ في الأنماء، وتفاقم العجز التجاري، وأنهيار سوق العمله..
هذه هي الدوافع الحقيقيه بأعتقادنا، والمخاوف الجديه التي دفعت بحق الدولتين العظميين الى طريق الحد من التسلح النووي بأقل التكاليف وابقاء الوفاق الدولي نزولاً عند الحد الأدنى من توازن القوى، وتوزيع مناطق النفوذ لصالحهما، وبالتالي ضد صالح الشعوب المستضعفه، وهي في النهايه محاوله من المحاولات، بغية اطالة عمر الأمبراطوريتين او (الأمبراطوريه المشتركه) ولايقاف تداعيهما، وانحدارها لتلقي مصيرها المحتوم، خضوعاً لقانون دوريه الحياة التي تخضع لها، كما جاء في مقدمة (ابن خلدون) المجتمعات كالافراد..

~~الواقعيه والطوباويه~~

~~ان ما جرى ويجري في سلو التقدم ليس الا محاولة من المحاولات لايقاف عجلة التاريخ. وان حياة الأمم والشعوب وعمر الدولة او الامبراطوريه كما يتحدث عنه التاريخ محكوم بقوانين الطبيعه وسنن الحياة، فالنهوض والترعرع مرورا بالازدهار وبلوغ دور القوة والجبروت ثم البدء بالانحدار والسقوط، يخضع لقوانين دوريه الحياة للأمم بما يناظر حياة الافراد كما تكلم عنه ابن خلدون في مقدمته، والتاريخ القديم والحديث زاخر بالمثل تثبت هذه الحقيقه الحقه ولكن ليس بمقدور اى انسان تقدير مدى [illegible] ما يملك دولة من الدول في دور من تلك الأدوار، ولكن هنالك من الدلائل والعلائم ما يشير الى الطور الذي تحل فيه دولة ما.~~

احلام الزعماء من العالم الثالث (جمال عبدالناصر – صدام حسين– الخميني)

لا تقتصر فكرة انشاء امبراطوريات، بالضرورة ، على قادة الدول العظمى او المتقدمة، بل قد تراود فكرة ذلك الحلم العقيم كذلك قادة الدول النامية والمتخلفة، على قاعدة (حق كل انسان ان يحلم) سواءً في النوم او في اليقضة.

هناك نقطة مركزية في مخيلة هؤلاء او اولئك، تتمحور حول تطلعات إعادة امجاد الماضي التاريخي الغابر، تقودهم الى ذلك اوهام امكانية حرق المرحلة التاريخية المعاصرة التي يعيشون فيها، وبناءاً عليه يندفعون الى الدخول في مواجهات غير متكافئة ضد القوى الدولية العظمى، مما يعني اغفالهم احكام قانون الدورية الذي تكلم عنه ابن خلدون في مقدمته المشهورة، وذلك بمحاولتهم حرق المرحلة التاريخية بدلاً من السعي الى ردم الهوة او تقصير مدة المرحلة المتدنية التي تعيش فيها شعوبهم، بالعمل الدؤوب باجراء الاصلاحات في كل مناحي الحياة، ونشر العدالة الاجتماعية بين أبناء الوطن تمهيداً لانتقال البلاد الى مرحلة متقدمة وصولاً الى مصاف الدول المتقدمة المسلحة بقدرات علمية وتقنية وفكرية لكي تلامس اهلية الدخول في حلبة التنافس والصراع عندما تتوفر مقومات الرقي وادواته.

لايضاح هذه الفكرة نشير الى نماذج من دول العالم الثالث في منطقة الشرق الاوسط الذين اغفلوا حكم قانون الدورية باتخاذهم خطوات تتعارض مع سنن الحياة والمبادئ التي تتحكم بمسريتها.

الاولى: تجربة الزعيم المصري الراحل جمال عبدالناصر الذي فجرثورة 23 يوليو عام 1952

الثانية : انقلاب حزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة احمد حسن البكر وصدام حسين، سمي بثورة 30/17 تموز 1968

الثالثة : ثورة الخميني في ايران عام 1979.

لست بصدد معالجة ملابسات هذه الاحداث التاريخية وتعقيداتها بكل ابعادها، وانما احاول انسجاماً مع خط تفكير هذا الدراسة المتواضعة الاشارة الى البعد الستراتيجي والقوالب الفكرية التي قادتهم الى الاحلام والتطلعات التي لم تتوفر ظروف تحقيقها على مسار التطور التاريخي للعالم.

تجربة جمال عبد الناصر:

قامت ثورة يوليو 1952 التي شكلت نقطة تحول تاريخي ليس لمصر فحسب وانما للعالم العربي باسره، فهي لم تقم من اجل تخليص الشعب المصري من الحكم الملكي الفاسد ومن اجل رفاه الشعب المحروم من ابسط مستلزمات الحياة الحرة الكريمة فحسب، وانما كذلك من اجل النهضة العربية وغسل عار انتكاسة العرب في فلسطين حسب بيانات الثورة. الى ذلك كان هدفها الاكبر والأسمى قد تجاوز حدود جمهورية مصر العربية ليلامس المشروع القومي العربي الوحدوي، أُعلن عنه بالشعار الذي اطلقه زعيم الثورة (من المحيط الى الخليج) مبشراً بفجر جديد تستعيد فيه الامة العربية أمجادها بقيادة مصر (الوطن الأم) بدءاً بتحرير فلسطين والاراضي العربية المغتصبة وصولاً الى مصاف الدول العظمى.

غير انه، على الرغم من مشروعية ونبل الهدف المعلن الذي يعكس تطلعات الشعب العربي وانسجامه مع منطق العدالة والحق، إلا انه كان عصي على التحقيق عملياً حيث جاء في غير زمانه على صعيد المرحلة التاريخية، كون المجتمع العربي لم يكن قد تطور الى المستوى الذي يؤهله للقيام بتحدي

القوى العالمية العظمى والدخول في الصراع المتكافئ ضدها في إطار التوازنات الدولية التي كانت قائمة بين العملاقين (الولايات المتحدة) و(الاتحاد السوفياتي) والتي تضمنت الاسناد الممنوح لإسرائيل بدون قيد اوشرط، وبالضد من تطلعات المشروع العربي الوحدوي الكبير، ناهيك عن التناقض الأيديولوجي لاطراف الاستقطاب.

وفي الواقع ان طموح عبدالناصر وإن كانت تعكس تطلعات الشعب العربي لاستعادة الحقوق المغتصبة، إلا ان المرحلة التاريخية التي كان العالم العربي يمر بها، لم تكن مواتية لفتح باب الصراع المتسم بالتحدي لرغبات احد القطبين العملاقين، وفي حين ان التحالف مع القطب الاخر لم يكن مجدياً لاحراز النصر في نهاية المطاف.. فكانت النتيجة كما يعلمها الجميع التخلي عن الهدف الستراتيجي المعلن وسقوط الشعار (من المحيط الى الخليج)، والاخفاق في تحرير فلسطين وبالتالي عقد معاهدة الصلح مع اسرائيل من قبل الرئيس انور السادات بعد رحيل قائد الثورة جمال عبدالناصر . مما يوكد لنا بالمطلق استحالة حرق مرحلة من المراحل التاريخية.

تجربة صدام حسين الكارثية

ربما المحرك الداخلي نفسه والقوالب الفكرية ذاتها رسمت خارطة الطريق التي سلكها صدام حسين في حكمه.

كان صدام حسين القروي الذي انتقل الى حياة المدينة في مقتبل العمر وعاش في كنف خاله خيرالله طلفاح العروبي/ الاسلامي والطائفي المتطرف المسكون فيه امجاد العرب المسلمون في صدر الاسلام.

تأثر صدام حسين من افكار خاله الرادكالية كثيراً، ومن بوابتها دخل في عالم السياسة، وانخرط في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي، ووصل الى السلطة في الدولة العراقية (كرجل ثان) بعملية انقلابية تآمرية سميت بثورة 30/17 تموز1968 ومن ثم اغتصب سلطة الحكم من رئيس الجمهورية احمد حسن البكر، واصبح رئيساً للجمهورية ورئيساً لما سمي بمجلس قيادة الثورة وقائداً عاماً للقوات المسلحة العراقية عام 1979.

قام في بداية حكمه المطلق للبلاد بعد ان قضى قضاءاً مبرماً على خصومه السياسيين ورفاق دربه، ببعض الانجازات الاقتصادية، أوحت بانه سائر نحو تحقيق الرفاه للشعب والرقي بالبلاد باجرائه اصلاحات تنظيمية واقتصادية واجتماعية ثورية، غير انه سرعان ما بدت في افق نهجه السياسي مؤشرات تنم عن طموحات كبرى تتجاوز نطاق إدارة البلاد، يفوح منها رائحة تطلعات تاريخية وطموحات كبرى لإعادة أمجاد الماضي التاريخي الغابر التي ترسخت في خلفيته الثقافية السياسية كان لخاله خيرالله طلفاح التاثير الاكبر في انمائها.

وقد شجعه على اتخاذ خطوات تقع خارج دائرة البناء الداخلي نجاحه في الوصول الى السلطة بوقت اقل من القياسي بكثير، اضف اليه الفراغ الذي تركه رحيل جمال عبدالناصر الامر الذي وجه انظاره لإملاء الفراغ الحاصل وتسنم زعامة الامة العربية.

ولتحقيق مآربه اتبع سياسة القمع والاستبداد للقضاء كل اشكال المعارضة الداخلية كما خاض حرباً ضد ايران او فرضت عليه على مسار التحولات السياسية والصراع الايديولوجي بوصول الخميني للحكم في ايران عام 1979 وهو العام الذي استلم هو سلطة الحكم المطلق في العراق، ولشدة التناقض

الايديولوجي بين النظامين العراقي والإيراني للبلدين الجارين ينتميان الى العالم الثالث، تحول الصراع الايديولوجي السلطوي الى حرب ضروس دامت ثمان سنوات.

والمفارقة، اطلاق النظام العراقي اسم (القادسية الثانية) استحضاراً لأمجاد الماضي التاريخي في حين بشر الخميني الجنة للشهداء الايرانين في حرب عبثية انتهت بلا غالب او مغلوب، ولكن العراق من جانبه اعتبرها انتصاراً له، تمثل في الصمود امام قوة اقليمية كبرى، وفي بروزه كقائد فذ وملهم بقي متربعاً على عرش العراق بلا منازع.. على قاعدة (ان الحروب تصنع الابطال والامجاد التاريخية)، وقد خرج من الحرب بجيش كبير وقوي (رابع جيش في العالم من الناحية العددية)، مما شجعه على الاقدام لاجتياح الكويت.

صحيح ان اجتياحه للكويت كان بدافع اقتصادي لغرض التخلص من الديون التي اثقلت كاهل العراق بسبب حربه ضد ايران، بحسب اكثر المحللين، ولكن لا يمكن اغفال خلفيته الثقافية والفكرية التي أطرتْ طموحه واحلامه المتجه نحو زعامة الامة العربية كخطوة ثانية بعد العراق وربما لزعامة العالم الاسلامي كخطوة لاحقة، مما دفعته الى اتخاذ قرار الاجتياح ومن ثم قرار دخول في الحرب ضد ثلاثين دولة بقيادة اعظم دولة في العالم، أدت الى نهاية طموحه واحلامه التي استفاق منها في حفرة حقيرة حين اخرجه منها جنود الغزاة الامريكان، الامر الذي يؤكد مرة اخرى استحالة القفز على مرحلة تاريخية التي تعيشها امة من الأمم او شعب من الشعوب.

ثورة الخميني عام 1979 وحلم اعادة المجد التاريخي

إذا كانت الحقيقة ان منطلقات الفكر السياسي لاي بلد، تنبع اساساً من الفلسفة التي تمد بجذورها الى الميتافيزيقية، وبما ان الثورة الشعبية الإيرانية التي تبنت نظاماً اسلامياً بقيادة الامام الخميني ورجال الدين الشيعة، وعليه لا شك ان النهج السياسي الذي ينتهجه هؤلاء الحكام يكون محكوماً بالقوالب الفكرية (الايديولوجية) الاسلامية، تستحضر تطلعات الماضي الاسلامي المجيد.

لا شائبة في تبني النهج الإسلامي واستحضار امجاد الماضي ولكن يشترط ان تؤخذ متطلبات التحولات التاريخية بنظر الاعتبار، وعدم اغفال أحكام القانون الدورية للحياة، بمعنى الامتناع عن محاولة احراق المرحلة التاريخية الراهنة او القفز عليها.

إذا القينا نظرة على الاحداث التي رافقت مسيرة الجمهورية الإسلامية الإيرانية نجد انها بدلاً من الانصراف الى الاصلاحات الداخلية، الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، والقضاء على الفساد المالي والاداري، واطلاق الحريات لإراحة المواطنين من سطوة اجهزة الاستخبارات ..الخ. وهذه الآفات الاجتماعية، هي التي كانت إعلام المعارضة الإيرانية تتحدث عنها، وتتوعد بالاصلاحات الجذرية بعد الاطاحة بالنظام الشاهنشاهي العلماني الموالي للغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص، إلا انه نلاحظ ان الثورة الإسلامية الإيرانية بدلاً من وضع تلك الامور الجوهرية على رأس قائمة اولويات اجندتها، بادرت باطلاق شعارات مثل (تصدير الثورة الاسلامية) ونعت امريكا (بالشيطان الاكبر) وغيرها من الشعارات التي تحمل دلالات تنم عن طموح لتأسيس إمراطورية إسلامية وإعادة الماضي الإسلامي المجيد، وربما كما يرى

البعض لإعادة مجد الامبراطورية الفارسية القديمة، بذلك فتحت ابواب الصراع مع دول المنطقة والعالم على مصراعيها، ولم يقتصر هذا النهج السياسي الخارجي على الكشف عن النوايا المستقبلية برفع الشعارات الاستفزازية فحسب، وانما اصبحت بمثابة ناقوس الخطر يهدد الدول العربية والخليجية ويوحي بخطر المواجه المؤجلة مع القوى العظمى، وكانت حصيلتها الاولى والمباشرة لهذا النهج حرب ثمان سنوات مع العراق التي ولدت حرباً اخرى في الخليج.

وأما على ارض الواقع، فقد اقدمت طلاب جامعة طهران باخذ موظفي السفارة الامريكية رهائن بدعم من الحكومة والقيام بترتيب اعتداءات على السفارات الاجنبية في داخل إيران وخارجها.

وعلى صعيد النهج السياسي للجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ تاسيسها عام 1997 ولحد الان، فقد دامنت على سياسة التحدي والاستفزاز للقوى العظمى والمجتمع الدولي واقلاق امن المنطقة والخليج، عدا فترة حكم الاصلاحيين بقيادة الخاتمي الذي اتسم بالاعتدال والابتعاد عن القيام بالأعمال الاستفزازية، وبتسلم الرئيس محمود احمدي نجاد الحكم اخذت السياسة الخارجية الإيرانية منحاً اكثر تشدداً واكثر خطورة بسبب الخلاف حول الملف النووي المثير للجدل. فضلاً عن تهديداته لوجود الاسرائيلي في المنطقة
وتجدر الاشارة الى تغيير مثير حدث على مسار تاريخ العالم، تمثل بانهيار الاتحاد السوفياتي بعد حوالي عقد من اندلاع الثورة الاسلامية الايرانية ودخول العالم الى عصر العولمة وبنظام احادي القطب، ومع ذلك فإن السياسة الخارجية الايرانية تحولت الى اكثر تطرفاً في تعاطيها مع المجمع الدولي

بتسلم محمود احمدي نجاد رئاسة الجمهورية الإسلامية الايرانية، اصبحت ايران الان على قاب قوسين او ادنى من المواجهة الفعلية مع الولايات المتحدة واسرائيل، قد تكون مدمرة لها وللمنطقة باسرها فيما إذا ما تحولت المواجهة السياسية الى نزاع مسلح بين الطرفين وربما بين اطراف متعددة اخرى قد تتورط بالحرب.

خلاصة القول في نهاية مطاف هذه الرؤية الفكرية لتقييم النتائج، نشير الى ان العلة في اخفاق ثورة 23 يوليو 1952 بقيادة الراحل جمال عبدالناصر في مصر رغم ضرورتها التاريخية وكذلك الانقلاب البعثي في العراق بقيادة بكر وصدام في العراق تنحصر باعتقادنا في نقطتين اساسيتين اللتين تشكلان النقطة المركزية تمحورت حولها هذه الدراسة، هما:

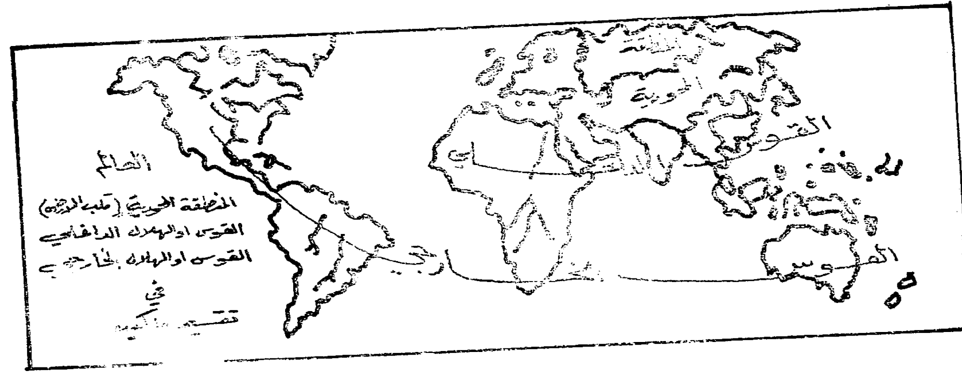
1- تضمنت النهج السياسي للدولتين طموحات تجاوزت في ابعادها الحدود الجغرافية والسياسية المرسومة لهما دولياُ، في غياب القدرة الكامنة والامكانات المطلوبة (المادية والاقتصادية والتقنية والمعلوماتية والمستوى الثقافي والعلمي للمجتمعين المصري والعراقي) بحيث تجعلها قادرة على تحقيق الهدف الذي كان اكبر بكثير من الامكانات المتوافرة.

2- الاعتقاد الخاطئ بامكانية حرق المرحلة التاريخية الراهنة وردم الهوة الكبيرة في مختلف المجالات بين وضع بلديهما والقوى الدولية العظمى المهيمنة على مقدرات الشعوب الاخرى.

اما التجربة الإيرانية فهي على المحك في الوقت الحاضر، يتوقف مصيرها على مدى تمسكها بالنهج السياسي الحالي المبني على الطموحات التوسعية بتطلعات اعادة الماضي التاريخي الإسلامي او الفارسي.

فلا نعتقد بان مصيرها ستكون مغايرة لما آل اليه مصير التجربتين السابقتين إلا إذا طرأ تغييراً جذرياً على النهج السياسي الذي ينتهجه حكام ايران بالتخلص من القوالب الفكرية (الايديولوجية) التي تستحضر أمجاد الماضي التاريخي الإسلامي او الفارسي، ربما بعودة الاصلاحيين والمعتدلين الى الحكم في ايران، وتعود الى السياسة الواقعية، وبعكسه سوف لا يكون شعب إيران أوفر حظاً من الشعب العراقي والثورة الايرانية اكثر انجازاً عن مثيلتها من ثورات العالم الثالث ذات طموحات كبرى.

هناك تجارب اخرى من العالم الثالث في المناطق المختلفة من العالم، ولكننا اكتفينا بتقديم المناذج الثلاثة من منطقة الشرق الاوسط عاصرنا فصولها وشاهدنا النتائج التي آلت إليها التجربتين (التجربة المصرية والعراقية). باعتقادنا بان التجربة جمهورية الإسلامية الإيرانية سوف لن تكون أفر حظاً من التجربتين السابقتين لها.



جزيرة العالم مع المنطقة المحورية حسب آراء ماكيندر على ما جاءت في دراسة « المحور الجغرافي للتأريخ » المجلة الجغرافية المجلد ٢٣ سنة ١٩٠٤ ص ٤٣٥ .

المخطط مقتبس من كتاب « رواد الاستراتيجية الحديثة »
تـأليف ـ ادورد ميدايول
ترجمة ـ الامير العربي أ ج محمد عبد الفتاح ابراهيم .

مع اختلاف وجهات النظر لدعاة المدرستين (البحرية والقارية) وأختلاف مذهبهما في عرض المشاكل الستراتيجية (السوقية) . الا ان المنطلق الفكري لهؤلاء الدعاة متطابق كل التطابق فيما يتعلق بتحديد «الهدف» الذي هو باختصار «السيطرة على العالم» وبوضوح الى حد الذي لا يحتاج الى الاستدلال .

لقد استعار «الجيوبوليتيكيون» الالمان وفي مقدمتهم الداعية «هوز هوفر» فكرة قلب العالم جملة عن ماكندر ثم طبقوها على الاتساع الالماني النازي .. ولتحقق وجود صلات قوية بين الجيوبولتيكيين والحزب النازي وبين كارل هوزهوفر وهتلر والرجل الثالث (ارودولف هيس)



نظرية دي سيفيرسكي عن التفوق والنفوذ الجوي

المخطط مقتبس من كتاب السوق الاكبر – تأليف جون ام كولينز

ترجمة : اللواء الركن علاءالدين حسين مكي خماس .

يتطلب ان يركز الاستعداد الاقتصادي فقط في المنطقة التي يمكن الدفاع عنها .

المصادر

الكتاب	المؤلف	المترجم ودار النشر
1- في الحرب	كارل فون كلاوزه فيتز	ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي
2- الذكاء والقيم المعنوية	الجنرال جان بيريه	= = = =
3- الفكر والحرب	جون غيتون	= = = =
4- الستراتيجية وتاريخها في العالم	ب هـ ليدل هارت	= = = =
5- السبيل الى القيادة	المارشال منتكمري	ترجمة ع. ر مصطفى حسن
6- التفسير الاسلامي للتاريخ	عماد الدين خليل	
7- ادارة الحرب	ج.ل فوللر	= اكرم ديري
8- منبع الاخلاق والدين	بيرغستون	نقلاً من كتاب الفكر والحارب جون غيتون
9- رواد الستراتيجية	ادورد ميداريل	اللواء محمد عبدالفتاح ابراهيم
10- الفلسفة الموسميطية	الجنرال جياب	داراندلس للنشر- بيروت
11- المدخل الى الاستراتيجية	= اندريه بوفر	ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي
12- ستراتيجية العمل	= = =	= = = = =
13 حرب الافكار	عزيز قادر الصمانجي	دار الساقي – للنشر
14- اراء في الحرب	اكرم ديري	المؤسسة العربية للدراسات والنشر